الدعوة إلى مكارم الأخلاق في الشعر السعودي
من عام ١٣٥١هـ إلى عام ١٤٠٠هـ
دراسة موضوعية فنية

د. مفرح بن إدريس أحمد سيد

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها – كلية التربية

فرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة

ملخص البحث

يدور هذا البحث حول ست مكارم أخلاقية وجدت لها صدىً واسعاً في ديوان الشعر السعودي في الفترة من عام ١٣٥١هـ إلى عام ١٤٠٠هـ فحاولت في هذا البحث إفراد تلك المكارم الأخلاقية بدراسة متأنيةجادة، تسعى جاهدة لجلاء موقف الشاعر السعودي منها، وتلمُّس الأسباب والدوافع التي جعلته يلح عليها دون سواها. ثم اتبعت الدراسة الموضوعية بدراسة فنية، عنيت فيها بإبراز الخصائص الفنية للشعر المحتفي والمحتفل بتلك المكارم.

وقد ظهر لي – بعد دراستي بشقيها – حرص الشعراء النابع من مواطنتهم الصادقة على سلامة مجتمعهم من الأدواء والعلل التي ستنجم عن انهيار مكارم الأخلاق فيه، وسمو ذلك الشعر النابع من سعيه إلى إيجاد مجتمع خالٍ من العيوب، تسمو فيه القيم والمبادئ والمثل التي أرستها الرسالة الإسلامية الغراء وشريعتها السمحة ، وتوافر العاطفة الصادقة وقوتها في معظمه، وجودته وتفوقه فنيا في أسلوبه وصوره وموسيقاه .

المقدمة

تعد الأخلاق الفاضلة قوام أي أمة من الأمم، وأساس قوتها وتماسكها ، وسر ازدهارها في الحياة.

والأخلاق في الإسلام تعني مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي على نحو يحقق الغاية من نزوله. (١)

وهـــي بهـــذا المفهوم ليست من مواد الترف التي يمكن للإنســـان الاستغناء عنها –تحت أي ظرف من الظروف–واستبدالها بغيرها (٢)، "بل هي جوهر الإسلام وروحه السارية في جوانبه جميعاً".(٣)

والذي يؤكد أهمية الأخلاق في الإسلام، وكونها الدعامة الأساس للنظام الإسلامي عمومـــاً، ما جاء في قول الرسول الكريم –ﷺ– محدداً الغاية من بعثته: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق).(٤)

وقد حث الرسول – ﷺ – على التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة ، وجعلها من تمام إيمان المرء وكماله،حيث يقـــول: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) (٥) ،والطريق الموصـــل إلى محبته والقـــرب منه في الآخرة ، حيث يقول: (إن أحبكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقاً).(٦)

وللأخلاق آثار عظيمة في حياة الأمـــم والمجتمعات، لاسيمـــا وقـــد أثبتت "التجربات الإنسانية والأحداث التاريخية، أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة، ومتناسب معه ، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها، ومتناسب معه، فبين القوى المعنوية والأخلاق تناسب طردي دائماً، صاعدين وهابطين".(٧)

والمجتمع السعودي –حكومة وشعباً– قد اتخذ منذ بداياته "الإسلام والشريعة الإسلامية بدستورها السماوي الخالد وما تضمنه ذلك الدستور من قوانين وأنظمة منهجاً التزموا بتطبيقه في جميع مناحي الحياة" (٨). ومن ثم لانستغرب من الشعراء المنتمين إلى هذا المجتمع احتفالهم بمكارم الأخلاق وآداب الإسلام الرفيعة في شعرهم، وحرصهم على إشاعتها في محيط مجتمعهم، وحث أفراده على التحلي بها ؛ إيماناً منهم بمدى أهميتها في الحياة، وحرصاً منهم على سلامة مجتمعهم وبقائه أنموذجاً يحتذى في حياتنا المعاصرة. وقد حفزهم على ذلك علمهم الأكيد أن "انهيار كل خلق من مكارم الأخلاق يقابله دائماً انقطاع رابطة من الروابط الاجتماعية، وبانهيارها جميعاً تنهار جميع المعاقد الخلقية في الأفراد، وبذلك تنقطع جميع الروابط الاجتماعية، ويمسي المجتمع مفككاً منحلاً".(٩)

وقد بدا لي تركيز الشعراء – في الفترة المحددة لهذه الدراسة– على مجموعة من مكارم الأخلاق وآداب الإسلام الرفيعة ، وأحسب أن ذلك راجع لإحساسهم بتضعضعها في معظم أفراد المجتمع ، ولذلك وجدناهم يولونها عنايتهم واهتمامهم، ويحرصون على التذكير بها والدعوة إليها، نظراً لحاجة المجتمع والمنضوين تحت لوائه لها في حياتهم.

وقد رأيت في هذا البحث المتواضع تناول مكارم الأخلاق التي ركز عليها الشعراء وكان لها صدىً واسعٌ في ديوان الشعر السعودي في الفترة الممتدة من ١٣٥١هـ إلى ١٤٠٠هـ، وإفرادها بدراسة موضوعية فنية .

وأود أن أشير إلى أن المنهج الذي سرت عليه في بحثي هذا ، كان منهجاً وصفياً فنياً، عالجت من خلاله النصوص، ودرست ما فيها من قيم فنية في إطارها ومضمونها وصورها.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة ، وفصلين ، وخاتمة ، حددت في المقدمة مفهوم الأخلاق في الإسلام، وبينت أثرها في حياة الأمم والمجتمعات .

أما الفصل الأول : (موضوعات شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق)

فقد قمت بتقسيمه إلى ستة مباحث :

المبحث الأول : علو الهمة .

المبحث الثاني : الإخاء والصداقة والتوادد .

المبحث الثالث : القناعة .

المبحث الرابع : الصبر .

المبحث الخامس : السخاء والإنفاق .

المبحث السادس : التواضع .

أما الفصل الثاني : (الدراسة الفنية)

فقد قسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول : (خصائص المضمون في شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق)

وفيه تناولت بالدراسة :

أولاً : المعاني والأفكار

ثانياً : العاطفة

المبحث الثاني (خصائص الشكل في شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق)

وفيه تناولت بالدراسة :

أولاً : اللغة .

ثانياً : الموسيقى الشعرية

ثالثاً : الصورة الشعرية

أما في الخاتمة فقد أثبتُّ النتائج التي استطاعت هذه الدراسة أن تحققها.

الفصل الأول : موضوعات شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق

المبحث الأول : علو الهمَّـة

من آداب الإسلام الرفيعة ، ومكارم الأخلاق التي كان لها صدىً في ديوان الشعر السعودي، علو الهمة وما يرجع إليها من ظواهر خلقية رفيعة، كالأنفة، وعزة النفس، والترفع عن الصغائر ، والطموح إلى المعالي.

وللقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، دعوات واضحة وصريحة إلى ذلك الخلق الإسلامي النبيل بمظاهره المتعددة. ومـــن ذلك مـــا جـــاء في قول الحق –جلَّ شأنه– : ﴿ ولله العزّة ولِرسولهِ وللمؤمنينَ﴾ {المنافقون٨} وقول الرسول الكريم – ﷺ – :(اليد العليا خير من اليد السفلى). [١٠]

ولعلو الهمّة أثر واضح في عالم المتخلق بها ، فهي تصون وجهه ، وتمنحه مقومات العزة والكرامة، وحرية الرأي ، والثبات أمام الأهواء والنزوات. [١١]

وقد احتفل الشعراء السعوديون بهذا الخلق الإسلامي أيما احتفال ، خاصةً عندما يتوجهون إلى الافتخار بالمبادئ والقيم التي تزدحم بها نفوسهم ، لدرجة أنهم لايحسون بوجودهم إن هم افتقدوها، ولذلك وجدناهم يؤكدون ثباتهم عليها .

والمتأمل في النصوص الشعرية التي دارت حول علو الهمة ومظاهرها المتعددة، يقف على خلوها من أي دعوة صريحة أو مباشرة للتخلق بها، وإنما جاءت الدعوة إليها –في كل ما قرأت– ضمنية ، وهذا يعزز من قوة النصوص المحتفلة بها من الناحية الفنية.

فهذا الشاعر محمد عبدالقادر فقيه يباهي بترفعه وإبائه، ويعلن تمسكه بهما مهما حاولت الصعاب قهره، فهو كالجبل الأشم لاينحني لأحد ، ولاينقاد لسفاسف الأمور وتوافهها [١٢] :

مَبْـــــدئي مَبْـــــدئي.. ممـــــاتي ومحيــــــا يَ وبعثــــــي علــــــى ســــــناهُ المـــــنيرِ
ما حنـــتْ هـــامتي الخطـــوبُ ومـــا بعــــ ـــتُ –على وفـــرةِ الشُّـــراةِ– ضـــميري
عشتُ كالطَّودِ هازئاً بالأعاصيـــــــــ ـــرِ أبيـــاً علــــــى الخَـــنى والفُجـــــورِ

والشاعر عبدالله بن إدريس يبدي استعداده لتحمل أدواء الحياة وصدماتها؛ حتى يحافظ على كرامته التي يعتز بها من أن تداس أو تمتهن [١٣] :

أبــــــــداً أصـــــــــونُ كـــــــــرامتي رغـــــــمَ الصِّـــــعابِ العاتيـــــــاتْ
لـــــــن أنْـــــثني عــــــن مبْـــــدئِي فـــــــالحقُّ أجـــــــدرُ بالثَّبـــــــاتْ
ومكـــــارهُ الأيـــَّامِ تصـــــــــــــ ــــنعُ في الرجـــالِ المكرمــــاتْ

ولم يتوقف الشعراء في دعوتهم إلى علو الهمة بمظاهرها المتعددة عند مجرد الفخر بتخـــلقهم بها، وإنما

تجاوزوا ذلك إلى إبراز آثارها في حياة الإنسان المتحلي بها. فهي تقف بين صاحبها وبين كل ما يزري به ويحط من شأنه من عادات أو سلوك ، كالتذلل ،والاستخذاء ، والمداهنة التي برع بعض ضعاف النفوس في اتخاذها سلّماً للوصول إلى ما يطمحون إليه من أمانٍ وآمال.

نقف على هذه الآثار العظيمة لعلو الهمـــــة عند طائفة من شعرائنا، من أمثال: إبراهيم هاشـــم فلالي (١٤) ، ومحمد حسن فقي(١٥) ، وأحمد سالم باعطب (١٦) ، وحسين سرحان، وهذا الأخير يأبى الانقياد لسيل أمانيه إن كان الطريق إليها مفروشاً بكل ما يزري به ويحط من شأنه، ويبدي اعتزازه بنفسه وترفعه ، صيانةً لكرامته من أن تهان أو تجرح، حيث يقول (١٧) :

إنَّ التَّجَمُّـــلَ لي مـــن شـــيمةٍ فُطِـــرتْ نفســـي عليهـــا ونالـــتْ أَوْجَهـــا العـــالي
أعـــيشُ بـــالآلِ تـــرويني خوادعُـــهُ إن ضنَّ غيـــبٌ بوبـــلٍ منـــه هطَّـــالِ (١٨)
وألـــبسُ الخلـــقَ البـــالي أصـــونُ بـــه كـــرامتي وأشـــوبُ المُـــرَّ بالحـــالي (١٩)
ترَفُّعـــاً بإبائـــي أن تُضعضعَـــهُ قوارعٌ من زمانٍ ذات أهـــوالِ (٢٠)

والشاعران: علي زين العابدين، وحسين عرب، يقدمان في تجربتين مستقلتين أثراً آخر لتلك القيمة الأخلاقية الرفيعة في حياة المتحلين بها. فهي تقف بينهم وبين إغراءات الشيطان، ونزوات النفس الأمّارة بالسوء، ودروب المعاصي والرذيلة.

فعلي زين العابدين يقدم تجربة عاشها في ملهى من ملاهي باريس، حيث الفتنة الصارخة، والرقص والمجون، وأحابيل شيطانية تحاول الإيقاع بكل الحاضرين. حيث يقول واصفاً ما رآه في ذلك الملهى الليلي، وما اعتراه فيه من مشاعر وأحاسيس (٢١) :

ويـــــلَ الشَّـــــبابِ مـــــن الحســـــا نِ إذا تقابلـــــــــتِ العُيـــــــونْ
أنشـــــى تـــــــذوبُ صـــــبابةً وفـــــــتىً يحرِّكُـــــــه الفُتـــــونْ
وتمـــــــازجَ الجنســـــــانِ في شـــــغفٍ تســـــوءُ بـــــه الظُّنـــــونْ
واستيقـــظَ الشَّيطـــانُ ينْـــــــــ ـــفــثُ سُمَّهُ في الحاضـــرينْ

وما إن بدأت الفتنة تستيقظ من مرقدها ، واشرأبت الغرائز متعطشة في عالم الشاعر، حتى رأينا همته العالية تقوده إلىالخروج من ذلك المكان الموبوء، وتدفعه إلى الفرار من المغريات التي يزدحم بها (٢٢):

وخرجـــــــتُ رغـــــــمَ ضـــــــراوتي رغـــــــمَ التلـــــــهُّفِ والحـــــــنينْ
وغـــــــذذتُ ســـــــيري في الشَّـــــوا رعِ شـــــــارداً كالتَّـــــــائهينْ
متلفِّتـــاً خلفـــي كـــأنِّـــي قـــد هـــربتُ من السُّجـــونْ

وفي قصيدة (الحب الضائع) لحسين عرب، نقف على أثر علو الهمة ومظاهرها المتعددة في الحيلولة بينه وبين

الرذيلة بعد أن أشعل الشيطان أوارها، حيث يقول مجسداً الصراع الذي عاشه وفاتنته تلح عليه بالإقبال عليها [(٢٣)]:

هتفـــتْ بي أقبـــلْ فأقبلـــتُ والنَّشْـــــ ـــوةُ شوقٌ يثـــورُ مـــن وجـــداني
قالتِ النَّفْسُ : قد ظَفِرتَ وقـــال الــــ قلبُ : هـــذي مغـــامزُ الشَّـــيطانِ
وتحيَّـــرتُ بين قلبـــي ونفســـــي لحظةً بعـــدها عصيـــتُ جناني

ومن آثار علو الهمة في عالم المتخلق بها عشقه الدائم لمعالي الأمور، والجد والاجتهاد والمثابرة للوصول إلى ما يصبو إليه من أمانٍ وأحلام، وعدم ميله إلى التواني والكسل والخمول.

وفي ذلك يقول الشاعر علي زين العابدين مفتخراً بنفسه وما حققه في حياته من مجد بفضل جده ومثابرته وعمله الدؤوب [(٢٤)] :

قـــــد كـــــانَ لي عـــــزمُ السُّـــــيو فِ .. وهِمَّـــــــةٌ ترمـــــي شَـــــرَرْ
قلـــــبٌ تمـــــوجُ بـــــه المـــــنى وحِجـــــىً تفجَّـــــر عـــــن دُرَرْ
نفـــــسٌ تتـــــوقُ إلى الكفـــــا حِ .. فمـــــا تنهنـــــهها الغِـــــيَرْ
أنـــــفٌ شمـــــوخٌ لايـــــذِلُّ وشـــــيمةُ الحُـــــرِّ الأغـــــرْ
وكرامـــــةُ العـــــربي تـــــأ نَـــــفُ أن يهـــــونَ ويُحتقـــــرْ
وليَ اللِّســـــانُ العَضْـــــبُ يقـــــ ـــــطَعُ بالصَّـــــراحةِ مـــــن كفـــــرْ
وليَ اليـــــدُ الطـــــولى إذا دَعـــــتِ الشَّـــــهامةُ أن أكُـــــرْ
أوغلـــــتُ في نَهـــــجِ العُـــــلا ورفعـــــتُ هـــــامي بـــــالظَّفَرْ
ورفعـــــتُ أبـــــراجَ البنـــــا ءِ .. فجـــــاوزتْ بُـــــرجَ القَمَـــــرْ
لـــــم يَسْتَبِـــــدَّ بـــــيَ الغُـــــرو رُ ولـــــم يُخـــــامِرْني بَطَـــــرْ

والذي لاشك فيه أن هذه الأبيات–بما حفلت به من معانٍ جليلة سامية– تحمل توجيهاً غير مباشر لشباب مجتمعه، وكأنه يريد أن يقول لهم : إن الطريق إلى تحقيق أمانيهم وأحلامهم يغص بالصعوبات، ومع ذلك بإمكانهم الوصول إلى ما يصبون إليه، متى ما وجدوا في أنفسهم القدرة على العمل المثمر البنّاء، والصبر الدؤوب على المصاعب التي تلقي بها الحياة في طريقهم ، والإصرار على قهرها واقتحامها بصدق وإيمان شديدين. وفي الوقت ذاته يحذرهم من مغبة الكسل والخمول، لأنهم إذا استسلموا لهما فمحال وصولهم إلى الآمال والأحلام التي تتطلع إليها أحداقهم، وتشرئب لها نفوسهم .

والإنسان الذي ينقاد لأمانية، ويضحي بعزة نفسه وكرامته من أجل عرض الدنيا الزائل، إنسان وضيع،

يستحق الخزي والهوان ، ومعهما الاحتقار من كل المحيطين به . نقف على هذه المعاني العميقة وما حملته من توجيه غير مباشر للتخلق بهذه القيمة الأخلاقية الرفيعة وما يلحق بها من مظاهر، عند الشاعر محمد حسن فقي، في قوله ساخراً من الذين ينقادون لأمانيهم ، ويستميتون في سبيل الوصول إليها ، غير آبهين بما يفقدونه، مفضلين الذل والمهانة، وضياع رونق الوجه وبهائه، على مغادرة ذلك العالم الذي ضحوا من أجله بأغلى ما يملكون [٢٥] :

قــد رضـيتمُ نسـيانَه ورضـينا بـالوجودِ الحفيـلِ في أَمْدائـهْ
فخـذوا كـلَّ زُخـرفٍ واسـتميتوا في سـبيلِ النَّفـيسِ مـن أندائـهْ
ورِدُوا الجَـدْولَ السَّـخيَّ فهـذا مـاؤُهُ فـاضَ فـارتووا مـن مائـهْ
ليس مـن عـاشَ في الحضـيضِ فأرضـا هُ كَمنْ عـاشَ فـي رَفيـعِ سمائـهْ

وفي أبيات أخرى يؤكد هوان الإنسان الذي يدفع عزّه نفسه وكَرامته ثمناً للحصول على بعض أطماعه وأحلامه في الحياة، حتى لو تسنم المناصب الرفيعة، وحاز المجد العريض ، وساد الناس طرّاً ؛ لأنه قد فقد قيمته في عيون الناس الأسوياء [٢٦] :

جّذبتـهُ إلى الحضـيضِ المقاديـ ـرُ فمـا عـافَ في الحضـيضِ المقامـا
ليس كـل الحضـيضِ يخـزي فقـد يـر فـعُ بعـضُ الحضـيضِ للنَّـاسِ هامـا
إنمـا الخِـزْيُ في السَّـنامِ إذا كـا نَ اتِّضـاعِي يهـدِي إليَّ السَّـناما
مـا أحَـطَّ الأنـامَ حـينَ يَهـونو ن ولـو أنَّهـم تَخَطـوا الغَمـاما

أما الشاعر علي زين العابدين فيؤكد أهمية تلك القيمة والمبادئ الرفيعة المنبثقة عنها في حياة الفرد، لأن النَّفْس إذا فطرت عليها لن تقع في الحضيض، بل ستظل تسمو إلى المعالي ، لايفارقها الإشراق واللمعان، لأنها تصبح كالجواهر المتلألئة الثمينة التي لايعلوها الصدأ رغم كر الليالي والأيام عليها، بل كلما أمعنت الليالي في كرِّها ، كلّما زادها ذلك إشراقاً ، ولمعاناً، وقيمة.[٢٧]

إنَّ نفْسـاً علـى الكرامـةِ شـبَّتْ سوفَ تبقى كالجَوْهرِ الَّلألاءِ
ليس يعـرُو الصـداءُ معـدِنُها الـزَّا كـي.. وتنبو عن زائغاتِ الطِّلاءِ

المبحث الثاني : الإخاء والصداقة والتوادد

الإخاء والصـداقة والتوادد خلق إسلامي رفيع ، حث عليه الإسلام ودعا إليه.

وقد جعل الإسلام هذه الأواصر التي تربط بين أبنائه تقوم على مبادئ سامية، تتجـرد عن الهوى، وتبعد عن تحقيق النزوات والمصالح الدنيوية الموقوتة.[٢٨]وذلك "لتعمر الأرض في ظل نظام اجتماعي يقوم على

التعاون"[٢٩].

والشعر السعودي حافل بالنصوص التي تدعو إلى الإخاء والصداقة والتوادد بين الناس. ويمكننا ـــ من خلال النصوص التي توافرت لدينا في هذا الشأن– أن نسلكها في ثلاثة مسالك:

فهناك طائفة من الشعراء تغنت بالصداقة ، وأشادت بما تحققه بين الناس من ألفة ومحبة وتعاون، وقدمت صوراً زاهية للأصدقاء الذين ينبغي البحث عنهم، وعدم التفريط فيهم إذا ما وجدناهم.

وطائفة أخرى دعت إلى التصافي والإخلاص في الصداقة، والتجاوز عما يكدرها –أحياناً– من هفوات، والإغضاء عن شوائبها ؛ أملاً في ثباها على مر الأيام.

ولم تتوقف مشاركات هذه الطائفة عند هذا الحد، وإنما وجدنا بعضهم يتوجهون إلى أصدقائهم طالبين السماح والصفح، لا عن أخطاء اقترفوها في حقهم، بل ليسدوا كل المنافذ على ذوي النفوس الضعيفة الذين اتخذوا من التفريق بين المتحابين شرعة لهم ومنهاجا.

وطائفة ثالثة وقفت موقف الناقد لكل من اتخذ الصداقة سلماً يحاول الارتقاء عليه ، ليحقق بعض مصالحه وأغراضه الذاتية ، كما حذرت هذه الطائفة من أصدقاء السوء، ورسمت العاقبة التي تنتظر المخدوعين بهم.

ويأتي الشاعر محمد إبراهيم جدع في مقدمة شعرائنا من حيث الاحتفال بهذه القيمة الأخلاقية النبيلة ، وبيان أهميتها في تعاون أبناء المجتمع وتكاتفهم، ورسم الصورة المثالية للصديق الذي ينبغي على الناس البحث عنه، والحرص عليه عندما يجدونه. تفصح عن ذلك النصوص التي دارت حول الإخاء والصداقة في شعره، والتي تكشف عن عشقه وهيامه بها.

فهاهو ذا يقول مبيناً أهمية الصداقة والمودة في حياة الناس [٣٠] :

إنَّ صِـــــدْقَ الـــــوِدِّ أسْـــــمى   في التقـــــاءاتِ الضَّـــــمائرْ
وهـــــو أُسٌّ للتَّـــــآخِي   وهـــــو مقيـــــاسُ المـــــآثِرْ
وهـــــو نِـــــبراسُ المعـــــالي   وهـــــو عنـــــوانُ المَشَـــــاعِرْ
تزْدَهِـــــي الآمـــــالُ فيـــــه   وتســـامـــــى بـــــالخواطِرْ

ويحتفـــل بالأخوة الصادقة الحقة ، وينوه بفضلها في النفوس التي أشرعت أحضانها لها ، قائلاً [٣١] :

مِثـــالٌ في التّعاضُـــدِ والوفَـــاءِ   وحَـــقٌّ في المـــوَدَّةِ والصَّـــفاءِ
ونبْـــلٌ عنـــدَ مُعتَـــركٍ عظـــيمٍ   يَشُـــدُّ الأَزْرَ مُكْتمِـــلُ البِنـــاءِ
فمـــا ضَـــلَّتْ نُفـــوسٌ قـــامَ فيهـــا   مثـــالٌ في المحَبَّـــةِ والإِخـــاءِ

ويحذر من زوال هذه الرابطة بين الناس، لما في ذلك من تهديد صريح للمجتمع الذي تنحل فيه عرى تلك القيمة بالتفكك والانقسام، ومن ثم الضعف المنذر بزلزلة كيانه، ويستشهد على ذلك بانصرام الأمم التي لم تسد فيها الأخوة والصداقة، حيث كان مصيرها الزوال (٣٢):

إذا لم تَصْـــفُ أَفْئِـــدةٌ لقَصْـــد وتَعـــرِفُ للأُخـــوَّة بالبقـــاءِ
وتَلـــهجُ بالصَّـــفاءِ بِكـــلِّ حـــينٍ وتـــنعمُ بالمحبـــةِ في هنـــاءِ
يُعَضِّـــدُ عزمَهـــا بعـــضٌ لـــبعضٍ وتعمـــلُ للمكـــارِم والعَـــلاءِ
فلـــمْ تَعمُـــرْ بمجتمـــعٍ نفـــوسٌ ولم تَـــرْقَ المقاصـــدَ في ابتنـــاءِ
ولم تَســـلكْ إلى دنيـــا حيـــاةٍ ولم تُفلِـــحْ علـــى رَفْـــعِ البنـــاءِ
وكم مـــن أُمَّـــةٍ ذهبت وضاعتْ لبُغـــضٍ فـــي الأخُوَّةِ واعتـــداءِ

وقدم لأبناء مجتمعه الصورة المثالية للصديق الذي ينشدونه ، حتى لايختلط عليهم الأمر فيصدقوا كل من ادَّعاها لهم(٣٣).

والصداقة الحقة عند الشاعر أحمد قنديل "هي التي تشعر الإنسان بالسعادة والهناء، بل هي السعادة بعينها وهـــي–وإن اعتراها بعض الزيف والخداع–مبجَّلة عند أصحاب المثل العليا"(٣٤)وفي ذلك يقول (٣٥) :

ومـــا الـــودُّ إلاَّ نفحـــةٌ قُدُسِـــيَّةٌ بهـــا نَجتلـــي ســـرَّ الصَّـــفاءِ ونَســـعدُ
ومـــا هـــو في قلـــبِ الخـــدينِ لخدنـــه علـــى مابـــه إلاَّ الصَّـــدى يَتَـــردَّدُ
فـــإنْ عـــادَ أمـــراً في الكـــثيرين زائفـــاً ومظهـــرَ أوضـــاعٍ بهـــا يتقيَّـــدُ
فما زالَ عند الصَّـــادقينَ مُقدَّساً يُؤكِّدُه في القَلْبِ حُبٌّ مؤكَّدُ

وهو يكن لصديقه أسمى معاني الحب والوفاء، ولذلك فهو يتألم لألمه ويفرح لفرحه ، وهذه المشاركة الوجدانية في السَّراء والضَّراء من أمارات الصداقة الحقة المبنية على أسس ودعائم متينة ، تكفل صمودها أمام العواصف والزوابع المثيرة للأمواج العاتية (٣٦) :

ويا صـــاحِبي مـــا أنـــتَ إلاَّ الـــذي لَـــهُ بقلـــبي مَكـــانٌ بالجنـــانِ مُمَهَّـــدُ
ومـــا أنـــت إلا فِكْـــرةٌ مازجـــتْ دمـــي ولابســـتِ الـــرُّوحَ الـــتي بـــك تَسْـــعَدُ
فإنْ تَهْنَ أو تحزنْ يُجبْكَ بمُهجتي هَناكَ المواتي أو أســـاكَ المُبَعِّـــدُ

ولم يتوقف الشعراء عند تمجيد الصداقة وبيان أثرها الفاعل في حياة الفرد والمجتمع؛ وإنما تجاوزا ذلك إلى تقديم بعض النصائح والتوجيهات التي تكفل بقاءها –على مر الأيام– زهرة ندية فواحة، يضوع أريجها فيملأ النفس بهجة وانشراحاً.

ومن تلك التوجيهات التي اتحف بها الشعراء جمهور المتلقين، ضرورة التغاضي عن هفوات الأصدقاء،

واحتمال عثراهم، والصفح عن المخطئ منهم إذا أقبل معترفاً بما اقترفت يداه، عاضاً أصابع الندم على ما بدر منه.

فهذا الشاعر محمد حسن عواد يتقدم إلى أحد أصدقائه طالباً منه الصفح عما بدر منه في زمن مضى فعكر صفو صداقتهم، ولبَّد فضاءها بالغيوم ، مؤكداً له حبه العميق الذي لم تغيره تلك القطيعة ، وتبد له صروف الزمان(٣٧):

لـــكَ الحـــبُّ موفـــوراً بنفســـيَ كامِنـــاً تُباعِـــدُهُ أسبـــابـــــه وتُقـــــرِّبُ
ومهمـــا تـــدَجَّى ذلـــكَ الخطـــبُ بيننـــا فقلـــبيَ لِلـــودِّ البِنـــاءُ المطَنَّـــبُ
فـــلا تَشْـــدُد الحبـــلَ الـــذي مُـــدَّ بيننـــا ولاتعتـــبرني في الصَّـــداقة أكـــذِبُ
وسامِحْ وأنت الُمرْتجَى من تواصَلَتْ أواصِرُهُ واصفحْ فإنـــيَّ مذنبُ

والمبادرة إلى دحض افتراءات وأكاذيب الذين اتخذوا من التفريق بين المتحابين شرعة لهم ومنها جا حال وقوعها ، وتأكيد عمق تلك العلاقة ، وإظهار الصدق فيها من الأمور التي تجهض محاولات كل أفاك أثيم، وتساعد على رسوخها وتسامقها في عالم المؤمنين بها وبجدواها في حياتهم.

والشاعر محمود عارف من الشعراء الذين طالهم سخف هذه الفئة ولؤمها، فقد أوغروا صدر صديقه عليه، بتشويه صورته لديه، فما كان منه إلاَّ أن انطلق مسرعاً –لا عن ذنب اقترفه– نافياً تلك التهم التي ألصقوها به، ومؤكداً حبه لصديقه وإخلاصه العميق له ، حيث يقول (٣٨):

أنـــا مَـــنْ يَبْتَغـــي عُـــلاكَ وقلـــبي صـــــادقٌ في وفائـــــهِ وكتـــــومُ
غـــير أنِّـــي إليـــك أرفـــعُ صـــوتِيَ بعتـــابي وفيـــه حـــبٌّ عظـــيمُ
لاتُصَـــدِّقْ مـــا قالـــه مُســـتخسٌّ كالحُ الوجهِ في الحيـــاة زنـــيمُ(٣٩)
قـــالَ عنِّـــي والقـــولُ منـــه افتـــراءٌ هـــو مُســـتكبرٌ عـــتيٌّ ظلـــومُ
أيَّ كِبْـــرٍ وأيَّ ظُلمٍ تـــــراهُ عند من طَبْعُهُ السَّماحُ العميم

وعلـــى هذا النحـــو تـــأتي مشاركة الشـــاعر حسيـــن عـــرب في قصيدته (عتاب) .(٤٠)

أما الطائفة الثالثة فقد نعت ما وصلت إليه تلك القيمة الأخلاقية على أيدي بعض ضعاف النفوس، حين قاموا بادعائها واستغلالها لتحقيق مصالحهم الذاتية، ونددت بأولئك الأصدقاء النفعيين، وحذرت من التعامل معهم. وهم من خلال ذلك يسعون إلى خلق جو مثالي تسمو فيه القيم والآداب الإسلامية الرفيعة، آخذين في الاعتبار أن مثل هذه العلاقات من شأنها أن تقوم على الصدق والوفاء، لأنها تساعد على بذر روح المحبة في حنايا أبناء المجتمع، وتعزز من وحدتهم وتآلفهم.

والشعراء الذين أبدوا استياءهم من هذا الصنف من الأصدقاء وتذمرهم كُثُـر ، ومنهـــم على سبيـــل

المثـال : عبدالقـدوس الأنصـاري[٤١] ، **وطاهر الزمخشري** [٤٢]، **ومحمد حسن فقي** [٤٣]، **وصالح العثيمين** [٤٤] ، **وعثمان بن سيار، الذي تجرع مرارة تلك الصداقة المغشوشة، واكتوى بنارها على يد أحد مدعيها ، حيث كافأه على وفائه وإخلاصه له بالغدر والخيانة، فانطلق معبراً عن فجيعته فيه، ومبدياً ألمه العميق من سوء أخلاق ذلك الإنسان الذي اتخذه في فترة من الزمن أخاً وصديقاً ، لتكشفه الأيام ذئباً ضارياً يتربص به، ومدية مسلولة تشتهي التضمخ بدمائه النقية** [٤٥] :

حَسِـبْتُكَ إذْ أصـفيتُك الحـبَّ صـافيا   فمـا كنـتَ إلا الـذِّئبَ أغـبرَ طاويـا
وصفتُ لـكَ الـرَّوضَ الأغـنَّ لتنتشـي   بأنسـامِه رُوحـاً وخِلتُـكَ سـاميا
فعِشْـتَ بـهِ حـتى حَطَمْـتَ غُصـونَه   وأيْبَسْـتَ في أغصـانِهنَّ الـدَّواليا
فكنتُ كـذي السِّـكين حَـدَّدَ نصْـلَها   لترميـهِ في كـفِّ المنيـةِ ذاويـا
بربِّـك قـل لي أنـتَ كيـفَ وجَدتـه   منيعـاً فسُـقتَ الغـدْرَ أسـودَ عاتيـا؟
وكيف تناسيـتَ الوفاءَ لغـايةٍ   تهونُ على من كان للـودِّ راعيا؟

ويعد الشاعر محمد عبدالقادر فقيه من أكثر شعرائنا شكايةً وتذمراً من هذا النوع من الأصدقاء، تفصح عن ذلك معاناته وآلامه التي جسدها في قوله [٤٦]:

ضيَّعتُ عمري وأعوامَ الشَّـبابِ سُـدًى   لمعْشـرٍ وِدُّهـم بـين الـورى لُمَـعُ
الغـادرينَ بعهـدِ الـحُبِّ لا أسـفٌ   منـهم عليـه ولاخـوفٌ ولاجـزعُ
كـأنني لم أكـنْ أرضـاً لهـم وسمـا   وسُـلَّماً للمعـالي عنـدما طلعـوا
وما حبسـتُ علـى أفـراحِهم فرحـي   وما بكيـتُ علـى حُـزنٍ بهـم يقـعُ
لو مُثِّلَ الغدرُ في شخصٍ لكـان لـه   من فِعلهـم وسِماهُم منظرٌ بَشِعُ

ونظراً لمعاناته الدائمة من غدر الناس المحيطين به، فقد تولد لديه إحساس بأن أعظم أنواع الجزع ما يأتي عقب غدر أحد أصدقائه به، خاصةً بعد أن تصور له الأيام واللقاءات التي لاتكاد تنقطع بينهما أنه الخل الذي قلّما يجود الزمان بمثله، وفي ذلك يقول [٤٧] :

جرَّبـتُ للغَـدْرِ أنواعـاً فمـا انسـحقتْ   نفسـي لـديها ولم ينتابهـا الفـزعُ
غَدْرَ الحبيـبِ علـى غَـدْرِ القريـبِ علـى   غَـدْرِ الزَّمـانِ صـروفٌ كلُّهـا شَـرَعُ
تَجمَّعتْ وانتحتْ نفسي فما جَزِعَتْ   غَـدْرُ الصَّديقِ تبدَّى عنده الجـزعُ

وقد تعددت مواقف الشعراء من أولئك الأصدقاء المداجين، فهناك من حمل عليهم حملة لاهوادة فيها موبخاً وساخراً ، ومنهم من اكتفى بمقاطعتهم، وأعلن ندمه على مصادقتهم، وهناك من اختار الوحدة والانطواء، هروباً من العالم والناس المحيطين به، بعد أن عانى منهم الكثير من الغصص والآلام.

فالشاعر أحمد سالم باعطب يمعن في ذم ذلك الصديق المداجي والسخرية منه، ويعلن مقته له، قائلاً (٤٨):

فيـــــا صِـــــنوَ الوقاحـــــةِ والــــدَّنايا	لقــــد قارفـــتَ في الأخــــلاقِ جُرمـــا
لحـــــاكَ اللهُ تدعونــــــي صــــديقاً	وتُشْـــبِعُني إذا مــــا غبــــتُ ذمَّـــــا
تعــــــانقُني إذا أقبلـــــــتُ يومـــــاً	كأنَّـــــكَ لي الشَّــــقيقَ أَبـــــاً وأُمَّــــا
وتُظهِـــــرُ أنَّ حُبَّـــــكَ لي مكـــــينٌ	وتـــسقيني بكـــفِّ الغَـــدْرِ سُـــمَّا
وليسَ بنافـعٍ عِلـمٌ ونُصْـــحٌ	إذا خَبُثَ الفـتى رُوحاً وجِسْـما

في حين يكتفي الشاعر محمد حسن فقي بإعلان قطيعته لصديقه ، بعد تخليه عنه في الوقت الذي كان في أشد الحاجة إليه. وفي ذلك يقول (٤٩) :

ســيأتي زمـــانٌ تشـــتهي فيـــه لهفـــتي	عليكَ فما تلقى ســوى غــيرِ لاهــفِ
لقد مــرَّ حــينٌ والصَّــوارفُ تنتحــي	عليَّ فلــم تحفــلْ بتلــكَ الصَّــوارفِ
وقد كُنتَ تلقى مــن نــدَاي عوارفــاً	فلم يلقَ بُؤسي منكَ بعــضَ العــوارفِ
وأذهلــني منــكَ العقــوقُ ورابــني	مــن الــودِّ مــا أوليتــهُ للزَّعــانفِ
وما كنتُ أدري أن أمسي الــذي مضــى	سيرمي غــدي الآتي بشــتَّى القــذائفِ
لقد كان رهــواً بــالمودَّة فاغتــدى	وقد زلزلتني منه هُــوجُ العواصــفِ

أما الشاعر محمد أمين يحيى (٥٠) **فيعلن عزوفه عن الناس وزهده فيهم، ويختار العزلة والانطواء ، لأنه لم يجد منهم سوى العقوق والغدر** (٥١) :

قالوا قلوتَ إخاء النَّاسِ عــن صَــلَفٍ	وقــد تعاليــتَ كِــبراً صــاغهُ الحَــرَدُ
أغرَّكَ العِلْمُ والعِرفــانُ فارتفعــتْ	بــكَ الظُّنــونُ عــن الــدُّنيا ومــا تَلــدُ
أمْ أنت تَحسبُ دنيا الناسِ قــد مُلئَــتْ	شــرّاً يُخالِطُــهُ الإنكــارُ والحَسَــدُ
فقلتُ خلُّوا سبيلي إننـــي رجــلٌ	أصبحتُ عــن خــبرةٍ في النَّــاسِ اقتصــدُ
قد جرَّبَ الــنَّاسُ قبلي بعضَــهم فبــدتْ	لهــم حقــائِقهُمْ زيفــاً فمــا اتَّحــدوا
وقد بلوتُ -بدوري- النَّــاس أكْثَــرَهم	فلم يكــنْ عنــد وقــعِ الــرُّزْءِ مســتندُ
فعدتُ سأمان من دُنيا همـــو فَرِحــاً	بــوحدتي قانِعـــاً..والحـــرُّ ينفـــردُ

المبحث الثالث : القناعة

القناعة خلق إسلامي رفيع ، وهي تعني فيما تعني رضا المرء بما قدره الله – سبحانه وتعالى– له من رزق ، وانصرافه عما يثير في نفسه الحرص والجشع، وطلب الدنيا الفانية بطرق وأساليب غير مشروعة.

وهذه القيمة ليست "خلقاً وضيعاً يورث الضعف والوهن في النفس، لأنها لاتعني الانقطاع عن الحياة، والانزواء عن مجالاتها وميدانها، بل تعني الرضا بنتائج مبادرته في الحياة–بعد أخذه بأسبابها القريبة والبعيدة–إخفاقاً أو فشلاً" (٥٢).

وقد بدا احتفال الشاعر السعودي بالقناعة واضحاً وجلياً، وأحسب أن ذلك الاحتفال راجع إلى ما يراه من تكالب أفراد مجتمعه على حطام الدنيا الزائل، وما قد يجلبه ذلك التكالب والسعار المجنون خلف بريق المال من أدواء وعلل، من شأنها تشتيت عرى المجتمع، وتهديد أمن أبنائه ووحدتهم.

والنصوص الشعرية التي عرضت لهذه القيمة الأخلاقية النبيلة تفصح عن تعدد الطرق والأساليب التي انتهجها أصحابها في دعوتهم إليها، ومحاولة إشاعتها في أوساط مجتمعهم.

فمنهم من دعا إليها بصورة مباشرة، ومنهم من عرض للحياة التي يختصم الناس ويتشاجرون من أجلها، مبينين تفاهتها وحقارتها، محاولين دفع الناس عن الاهتمام بها، لأنها ليست دار قرار وخلود، وإنما هي مسافة غايتها القطع. وهم عن طريق ذلك يدعون –بصورة غير مباشرة– إلى القناعة التي تجعل الإنسان سعيداً ومطمئناً في حياته، بدلاً من التطاحن سعياً وراء جمع الأموال، وانتهاج كل السبل لتحصيلها. ومن الشعراء من افتخر بوجود تلك القيمة الأخلاقية في عالمه، وأشاد بالسعادة التي تحققها له.

فهذا الشاعر علي زين العابدين يتوجه إلى أحد عشاق المال، مباشراً حثه على تجنب السبل الملتوية التي ينتهجها لجمع الأموال، وتوجيهه إلى القناعة والرضا بما قسمه الله ، والتزود بالتقوى قبل الموت الذي مآل الخلق إليه (٥٣):

أغـــرَّكَ مـــا جمعـــتَ فـــلا حِســـابٌ	ولارُشـــدٌ يصـــدُّكَ عـــن ضـــلالِ
سَيحشُـــركَ الإلـــهُ إلى جَحـــيمٍ	فيـــا للهِ مـــن ســـوءِ المـــآلِ
أفِـــقْ يـــا صـــاحبي واذكـــرْ حســـاباً	حِســـابُ اللهِ يعصـــفُ بالجبـــالِ
فـــأرجِعْ مـــا جمعـــتَ إلى ذويـــهِ	وإلا فـــانتظِرْ مُـــرَّ التَّكـــالِ
وقُـــلْ يـــا ربِّ قـــنِّعْني برزقـــي	وقـــلْ يـــا ربِّ أصـــلِحْ مـــن فِعـــالي
وتُبْ يـــا صـــاحبي مـــن قبـــلِ مـــوتٍ	فإنَّكَ زائـــلٌ عـــن كـــلِّ حـــالِ

ويدعو الشاعر محمد حسن فقي إلى القناعة، ويحث علىعدم الاهتمام بالدنيا الفانية إلاّ أنه لم يباشر تلك

الدعوة ولاذاك التوجيه،وإنما اكتفى بإطلاق عدد من الأسئلة ، ولدها في عالمه ما يراه من تكالب وتطاحن وراء جمع الأموال ومن ثم تكديسها ، أو التفنن في تبديدها على ما يشبع نهم النفس ويروي عطشها ، متبعاً أسئلته التي أشعلها بتأكيده حقيقة تناساها الناس في غمرة انشغالهم بدنياهم، وهي : أن كل الأشياء التي يدركنا الجهد والإعياء – وربما ارتكاب المحظورات في سبيل تحقيقها – ستذوي وترحل إلى غير رجعة، إما بعد رحيل أصحابها، وإما قبلهم [٥٤] :

كـــلُّ مـــا تشـــتهي وتملِـــكُ زائـــلْ   فعـــــلامَ احتفالُنـــــا بالمهـــــازلْ
وعـــــلامَ احتفالُنـــــا بالمســــرَّا   تِ ومـــا هُـــنَّ غيرُوهـــمٍ وباطـــلْ
واللَّـــذاذاتِ والنـــفَّائسِ والمجْـــ   ـــدِ وحُلـــوِ الـــرُّؤى وعـــذبِ المناهـــلْ
سوفَ نمضـــي ونحـــنُ نصـــبو إلى العَـــيْـ   ـــشِ ونهفـــو لأهلِنـــا والمنـــازلْ
وإلى الصَّـــحْبِ والبـــنينَ ومـــا نَمــْـ   ـــلكُ بـــاقٍ إلا نـــواحَ الثواكـــلْ
ما أرى في القِتالِ مـــن أجـــلِ مجْدٍ   وحُطامٍ إلاَّ جنـــونَ المقاتـــلْ

وهناك شعراء دعوا إلى القناعة ووجهوا أفراد المجتمع إلى التخلق بها، إلاّ أنهم لم يباشروا تلك الدعوة، وإنما اكتفوا بافتخارهم بوجودها في عالمهم، وحديثهم عن آثارها العظيمة في نفوسهم الراضية المطمئنة بما قسمه الله لها من كسب حلال، بعد الأخذ بالأسباب .

فالشاعر عبدالغني قستي ينهض بنفسه فوق الماديات، متحلياً بالقناعة التي تصونه وعرضه، ومتجنباً ذلك السعار الذي يراه من أفراد مجتمعه وراء بهرج الحياة الزائف، حيث يقول [٥٥] :

وحســـبي مـــن الـــدُّنيا كِســـاءٌ وبُلغـــةٌ   تُـــخفِّفُ عن نفســـي عنـــاءَ التَّكَلُّـــفِ[٥٦]
فَـــرُبَّ كَـــدودٍ عـــاشَ عيشـــةَ مُعـــدَمٍ   ورُبَّ قنـــوعٍ عـــاشَ عيشـــةَ متـــرفِ
على حين قد يَمْسي الفقيرُ بِحُلَّةٍ   ويُصبحُ أربابُ الثَّراءِ بصفصفِ [٥٧]

والفلالي لايريد من الثياب إلاّ ما يستره ، ولامن الطعام إلاّما يقيم أوده، ويعينه على أداء واجباته المنوطة به، وهو في كل ذلك مؤمن بقضاء الله وقدره، فهو يعلم أن الله –سبحانه وتعالى– قد تكفل برزق كل مخلوق، وأنه قد قدّر لكل واحد قدره منه [٥٨]:

حسبي مـــن الثَّـــوبِ أنَّ الثَّـــوبَ يســـتُرني   وذيـــلُ ثـــوبي نقـــيٌّ غـــير معيـــوبِ
حسبي مـــن العـــيشِ كســـراتٌ مغمَّســـةٌ   من خالصِ الخـــلِّ لامـــن شَـــهدِ يعســـوبِ [٥٩]
حسبي لدى الرُّزْءِ إيمانـــي بمقتدرٍ   لايحبِسُ الرِّزْقَ عن باغٍ ومغلوبِ

ويعلن الشاعران: إبراهيم فودة [٦٠]، ومفرج السيد [٦١]، عن زهدهما في الحياة، ويبديان قناعتهما بما يستبقيان به حياتهما من مأكل ومشرب.

وقد يغفل الإنسان في غمرة انشغاله بتوفير حياة كريمة لأسرته وذويه، وإسرافه في الأماني العراض، عن هذا المبدأ الأخلاقي الرفيع، إلاّ أنه سرعان ما يرعوي ويعود إلى رشده، عندما يجد من يعيده إلى صوابه، ويذكره بمصيره الذي سيئول إليه ، سواء كان صاحب مجد وجاه، أو فقيراً معدماً.

وهذا ما حدث للشاعر أحمد سالم باعطب بعد أن أحست رفيقة دربه بما يعانيه من جراء تفكيره الدائم في الحياة التي يعيشها، ووضع أسرته الذي أشغله عن التفكير في المصير الذي ينتظره والاستعداد له، فما كان منها إلاّ أن توجهت إليه مذكرة له بحرمة تبرمه مما وهبه الله في دنياه، ومهوّنة عليه الصعوبات التي تثــقــل كاهله. حيث يقــول واصفاً سوء حاله، ومجسداً موقف زوجته المثالي معه (٦٢) :

إلهــي ذُقْــتُ مــن هَــولِ الرَّزايــا	ومــن أَلَمِ المــرارةِ مــا كفانــي
فجــدْ بالفضــلِ منــكَ ولاتكِلْــني	لمــأفونٍ يطيــبُ لــه هوانــي
يَمُــنُّ علــيَّ إنْ أعطــى فيلــهو	بــأخلاقي ويَسْــخرُ إن دعانــي
ويحســدُني إذا مــا قُلــتُ خــيراً	وعِشْــتُ بعِــزَّةِ الشَّــرَفِ المُصــانِ
وتَــنْهَشُ قلبَــه رقطــاءُ حِقــدٍ	وربُّ الحِقــدِ لــيس بــذي أمــانِ
وفَاهــتْ زوجــتي بعــد اصــطبارٍ	بألفــاظٍ أغــرَّ مــن الجُمــانِ
حــرامٌ لا تــُشِرْ إعصــارَ يــأسٍ	يقــوِّضُ أمنياتــكَ في ثوانــي
تمتَّعْ بالحيــاةِ وعِــشْ قَنوعاً	فإنَّك هــالكٌ والمــالُ فانِ

ويسلك الشاعران : حسين سرحان، وعبدالكريم الجهيمان، في دعوتيهما إلى القناعة مسلكاً مغايراً ، حيث مالا إلى الرمز والإيحاء بدلاً من المباشرة.

فالسرحان في قصيدته (الدودة الأخيرة)(٦٣)، رمز بالصراع الذي احتدم بين ملايين الدود على جثة أحد المتوفين في محاولة يائسة للبقاء والخلود ، للصراع الدامي بين أفراد المجتمع في سبيل جمع الأموال الطائلة والتنعم بمتع الحياة، ناسين أو متناسين النهاية الحتمية التي تنتظرهم ، علّهم يرعوون ويفيقون من غفوتهم ، معلنين توبتهم، وقانعين بما قسمه الله لهم قبل فوات الأوان.

والجهيمان في قصيدته (الفتاة اللعوب)(٦٤)، يرمز للحياة الدنيا التي يتقاتل الناس من أجلها ، بغانية لعوب، قد حشدت كل أسلحتها الفتّاكة للإيقاع بالمولعين بجمالها الفائق ، وفتنتها الصارخة، وإشغالهم عما يعود عليهم بالنفع والفائدة عند مغادرتهم لها.

وهو يسعى – من خلال تقديمه الدنيا في تلك الصورة– إلى حمل أفراد مجتمعه على عدم الاغترار بها، والتطاحن في سبيل التلذذ بمغرياتها التي قد تفرض عليهم السير في دروب لاتحمد عقباها.

وأتبع الشعراء دعوتهم إلى القناعة ببيان ثمرتها في النفوس، فهي تطهرها من أدرانها، وتقف بين المتخلقين بها

وبين بعض العلل والأدواء التي يحسها غير القنوع، كالحسد، والحقد، لأرباب المال والثراء، أو السرقة والاختلاس والربا التي يقترفها المحرومون من المال، أو الطامعون في الحصول على أكبر قدر منه. وقد أشار إلى ذلك الشاعر أحمد سالم باعطب في قوله (٦٥) :

ذريـــــــني للـــــــهمومِ وللمآســــــي أعـــــالجُ بالتَّصـــــبُّرِ مــــا أُقاســـــي

وأطفـــــئُ بالقناعـــــةِ نــــارَ حقــــدٍ تكبَّـــدَ حرَّهـــا كـــمْ مـــن أُناســـي

رأيـــتُ بـــني التُّـــرابِ عبيـــدَ مـــالٍ ولـــو جمعـــوه مـــن طُـــرقِ اخـــتلاسِ

وكـــلٌّ فـــتىً لجمـــعِ المـــالِ يَســـعى مـــريضَ القلـــبِ مشـــدودَ الحـــواسِ

ويغمـــضُ عينَـــهُ عـــن كـــلِّ بِـــرٍّ فلايصــــلُ القريـــبَ ولايواســـي

المبحث الرابع : الصبر

من الآداب والأخلاق الإسلامية التي دعا إليها الشاعر السعودي وحث عليها الصبر . وهو خلق إسلامي رفيع يمنح صاحبه حصانة ذاتية ضد الصدمات والشدائد التي تزدحم بها الحياة ، وترمي بها من تختار من الراتعين في رحابها وفنائها، وهو إلى جانب ذلك يعين المتخلق به على اجتياز العقبات التي تقف في وجهه ، ويمكنه من تحقيق ما يصبو إليه من آمال وطموحات في هدوء وثبات.

والمتأمل في النصوص الشعرية التي دارت حول الصبر وأهميته بالنسبة للإنسان، يقف على اصطباغ أكثرها بشخصية مبدعيها، وذلك يعني أن لأصحاب تلك النصوص تجارب ذاتية عاشوها وتعايشوا معها، فولدت لديهم ذلك الاحتفال بالصبر والاحتماء به من عثرات الزمان. وقليل منها ما حمل دعوة مباشرة للصبر لاتنم عن وجود تجربة ذاتية تفاعل معها الشاعر وانفعل بها، وإنما كان وكد الشاعر فيها أن يزجي النصيحة ، ويحسن في الحث والتوجيه، معتمداً على معرفته بالفوائد العظيمة التي تعود إلى الإنسان الصابر المحتسب.

وسواء أدلت تلك النصوص على تجربة ذاتية عاناها الشاعر أم لم تدل، فإنها قد حملت في حناياها دعوات للاحتفاء بهذا المبدأ الأخلاقي النبيل.

ويأتي في مقدمة شعرائنا من حيث الاحتفال بهذه القيمة الأخلاقية الرفيعة الشاعر طاهر زمخشري ، فهو والصبر رفيقان لايفترقان، يستعين به على اجتياز مهامه الحياة، وتسور عقباتها، ويستضيء به في طريقه الطويل نحو تحقيق آماله وطموحاته السامقة ، ويستله سيفاً صقيلاً تتكسر على حده الحوادث والآلام التي تقبل عليه من كل حدب وصوب (٦٦) :

إذا هتفــــتْ بـــيضُ الأمـــاني بهمَّـــتي ... فـــإن جميـــلَ الصَّـــبرِ أقـــوى مضـــاربي
وأجتـــازُ آمـــادَ الحيـــاةِ بعزمـــةٍ ... تنـــالُ مـــع الأيَّـــامِ أحلـــى الرغائـــبِ
وكـــفُّ القضـــاءِ السَّـــمْحِ يمتـــدُّ فيضُـــها ... بعـــون يـــريني غـــايتي ومـــذاهبي
فإنْ أرْهفَتْ سودُ الخطوبِ نِصالَها ... تهاوتْ بحدِّ الصَّبرِ مـــن كلِّ جانبِ

ويلوذ به من نوائب الزمان ، وتدافع المواجع والأدواء صوبه كالأمواج المتلاطمة؛ للإيقاع به وإجهاض محاولاته المتكررة للنجاح والتفوق (٦٧):

يـــا رفيقـــي إن حـــاولَ الـــدَّهرُ إذلا ... لي ودكَّـــتْ عزائمـــي أدْوائـــي
أو إذا رامـــتِ المواجـــعُ إجـــا ... مـــي فصـــرتُ القعيـــدَ بالـــحوباء (٦٨)
لـــذتُ بالصَّبْرِ فهـــو أرهفُ حدّاً ... وبـــهِ أستعـــينُ فـــي الضَّـــرَّاءِ

وللصبر – كما لايخفى– آثار عظيمة وفوائد جليلة في عالم المتحلي به، وقد قدّم الشعراء في احتفالهم به بعضاً منها، يأتي في مقدمتها رفعة شأن الإنسان الصابر المحتسب في عيون الناس من حوله، لأنه مرفوع الهامة

دائماً، حتى لو تكالبت الظروف عليه ، وتجهمت في وجهه الحياة. فهو لاينقاد –تحت وطأة الصعوبات التي تكتنف طريقه– لذوي الأغراض الدونية الممقوتة ، بل يظل صامداً وساعياً إلى تحقيق ذاته، والوصول إلى آماله وطموحاته.

هذه الآثار العظيمة والمعاني الجليلة السامية، نقف عليها في قول الشاعر إبراهيم هاشم فلالي معتزاً بكرامته وحريته اللتان أعانه على المحافظة عليهما صبره الجميل (٦٩) :

إنْ كنـــــتَ تَحشُـــــدُ يـــــا زمـــــا نُ لِيَ المكـــــــارهَ والـــــــنِّقمْ
حـــــتى تلـــــينَ شــــكيمتي وتقـــــودني قـــــودَ الـــــنَّعَمْ
لأســــيرَ في ركـــــبِ الحيـــــاةِ مزمِّـــــراً تحـــــت العلـــــمْ
فلســــوف تعلـــــمُ أن حشـــــدَك حــــولَ صـــبري ينــــهزِمْ
ولســـوف تعلـــمُ بعـــد حيـــنٍ أنَّ عرْضِي ما انثـــلمْ

وهو عند الشاعر أحمد الغزاوي (٧٠) وقاية للإنسان المتخلق به وحماية له من الهواجس والآلام التي تعتريـــــه . وعند محمد إبراهيم جدع(٧١) وإبراهيم فوده (٧٢) خير معين بعد الله – سبحانه وتعالى – على قهر الصعوبات التي تزدحم بها الطرق المؤدية إلى أحلام الإنسان وأمانيه الجميلة السامية.

ونظراً للفوائد العظيمة للصبر وجدنا عدداً من شعرائنا يحثون على التحلي به، واتخاذه درعاً واقياً من حوادث الحياة ، وسلاحاً فتاكاً تتكسر على حده الخطوب مهما كانت عظيمة.

فهذا الشاعر محمد حسن فقي يقول حاثاً على الصبر والاحتساب، ومنوهاً بقيمته وفائدته في الحياة:(٧٣)

رُبَّ ضَرَّاء تستحيل – إذا نحـــن صبرنا لـــها – إلى ســـرَّاء

ويخص الشاعر محمد سرور صبان ابنه بالدعوة إلى الصبر وعدم اليأس في الحياة ، قائلاً (٧٤) :

يـــــا بُنَـــــيَّ اصـــــبرْ ولاتيـــــأسْ إذا مسَّـــــكَ الهـــــمُّ وجافـــــاك الخـــــدينْ
إن في الصَّـــــبرِ ســـــلاحاً واقيـــــاً مـــن شـــرورِ النَّـــاسِ والـــدَّاءِ الـــدَّفينْ
في زمـــــانٍ أصـــــبحَ المـــــالُ بـــــه سُــــلَّمَ الخِـــزي لــــبعضِ الفاســـقينْ
وغـــــدا الـــديناُر طوعـــاً للألـــي بـــدُّوه في تعـــاطـــي مـــا يَشـــينْ

في حين نجد الشاعرين: محمد سراج خراز، وطاهر الزمخشري، يفتخران بتحليهما بهذا الخلق الإسلامي النبيل ، حيث يقول الأول منهما معتزاً بنفسه، ومنوهاً بصبره الذي أعانه على قهر الصعاب والمضي قدماً في حياته دونما توقف، أو تأفف، أو يأس (٧٥) :

أنـــــا مهمـــــا أُترِعـــــتْ كـــــأْ ســـيَ مـــن مُـــرِّ الشـــــرابِ
لســــــتُ بالمــــــذعنِ لليـــــأْ سِ ولاعَـــــــزْمي بنـــــــابي

لا ولا الشَّـــــاكي وهــــــل تسْـــــــــــمعُني صُــــــمُّ الصِّــــــــلاب؟
لا ولا غشَّـــــــــــى ســــــــــنا وِدِّيَ مُـــــــــــربدُّ الضَّـــــباب(٧٦)
دأبــيَ السَّــعْـــيُ ولـــو أنَّـــــيَّ لم أبْلُــغْ رِغــابـــــي

والزمخشري يؤكد مضيه في طريقه نحو الهدف الذي رسمه لنفسه، غير مبالٍ بالعقبات التي تعترضه، والأدواء التي تنهش جسده، متسلحاً بالصبر الذي أشعل روح الصمود والثبات في عالمه ، ودحر الخوف والتراخي عن تحقيق أحلامه، حتى وإن كان الطريق إليها طويلاً (٧٧) :

ســـــخرتُ مــــن الـــدَّاءِ إذْ عضَّـــني ليعـــــرفَ أنِّـــــي بـــــهِ لا أبـــــالي
لأنَّ ثبــــــاتِي يــــــدكُّ الصِّـــــعابَ ويـــبني صُـــمودي صُـــروحَ المعـــالي
فكيـــــف أخـــــافُ الفَنَـــا والأســـى وإنهمـــا مـــــن رِفقـــاقِ نِضـــالي
ربيعـــي افتقــــدتُ ومــــن زهــــرهِ بقايــــــا تـــــزَوِّدني بـــــالنَّوالِ
وخَطْــــــوي وئيـــــدٌ ولكـــــنني أواصِـــلُ سَـعيي علـــى كـــلِّ حـــالِ
فمـــا زال بَـــرْدُ الرِّضـــــا منْعمــاً سخـــــيَّ العطـــاءِ نَـــدِيَّ الظـــلالِ

المبحث الخامس : السخاء والإنفاق

من مكارم الأخلاق وآداب الإسلام الرفيعة التي تغنّى بها الشعراء السعوديون ودأبوا على إشاعتها في أوساط مجتمعهم السخاء والإنفاق ، وعدم التحسر والندم على ذهاب ما في اليد.

وللقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة توجيهات كريمة وسامية إلى السخاء والكرم والإنفاق، وفيهما تحذير من البخل والشُّح ، وإيضاح للعواقب الوخيمة المترتبة عليهما.

وفي ذلك يقول الحق –جل شأنه– : ﴿وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحـــــــون ﴾{التغابن ١٦} ويقول الرسول الكريم–ﷺ–:(ما من يوم يصبح العباد فيه إلاّ وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفا). (٧٨)

وقد استلهم الشعراء هذه المعاني الجليلة السامية، وطفقوا يدعون إلى هذا الخلق الإسلامي النبيل ،إيماناً منهم بأثره العميق في تعزيز روابط الأخوة الحقة بين أفراد المجتمع ، والقضاء على كل ما من شأنه أن يعكر صفو تلك الروابط أو يحل عراها ، من حسد ،وحقد ، وبغض ، وكراهية.

والنصوص الشعرية التي دارت حول هذه القيمة الأخلاقية تفصح عن تعدد الطرق والأساليب التي سلكها الشعراء في الدعوة إليها. فمن الشعراء من باشر الدعوة إلى السخاء والبذل والإنفاق، وحذر في الوقت ذاته من البخل والشح، وتجاوز ذلك إلى بيان العواقب الوخيمة التي تنتظر المغلولة أيديهم إلى أعناقهم من الأثرياء

والموسرين. ومنهم من لم يباشر تلك الدعوة، وإنما جاءت ضمنية وغير صريحة، إما من خلال افتخار بعضهم بكرمهم وجودهم، وتجسيد إحساسهم بجمال ما يصنعون، وإما من خلال الاحتفال بها في أحد أفراد المجتمع المعروفين بحبهم لتلك القيمة الأخلاقية الرفيعة وعشقهم لها.

وفي جميع النصوص التي عرضت للسخاء والكرم والإنفاق دعوة لأبناء المجتمع إلى التحلي بهذا الخلق الإسلامي النبيل، سواء جاءت تلك الدعوة مباشرة أو ضمنية.

ومما جاء عن هذا الخلق الرفيع في ديوان الشعر السعودي، قول الشاعر محمد عبدالقادر فقيه مفتخراً بجوده وسخائه ، وعدم إحجامه عن مد يد العون للمحتاجين ومواساقم، رابطاً دأبه وعادته تلك تجاه قاصدي رحابه بما كان يقوم به آباؤه وأجداده من العرب الأفذاذ الذين جبلوا على الكرم والسخاء، حتى أصبح سمة لهم يعرفون بها بين أمم الأرض ويمتازون (٧٩) :

ولـــرُبَّ خــلٍّ جــاءَ يســأَلُني وجبينُــه متفصِّــدٌ خجــلا
واســيتُ محْنَتَــهُ وكُرْبَتَــهُ ورفدْتُــه بــدءاً فمــا ســألا
صُنْــعَ الألي أنــا من صنائعهم مــا يطفئــونَ لآمِــلٍ أمــلا

ويباهي الشاعر محمد سرور صبَّان بحاتميته في قومه عندما كان ماله وفيراً، يواسي به الذين لايجدون ما يسدون بــه رمقهــم ويطفئون به أوامهم من أفراد مجتمعه، ويجبر به كسر من خرَّ صريعاً منهم بعد جاهٍ وغِنى، قائلاً(٨٠) :

كــانَ لي مــالٌ وجــاهٌ وغــنَى وسَــماحٌ فــوقَ وصــفِ الواصــفينْ
أجمــعُ المــالَ لكــي أُنفقَــهُ في مواســاةِ العبــادِ البائســينْ
فكــأنّي حــاتمٌ في قومِــه أَصْــرِفُ الأمــوالَ في وجــهٍ قَمــينْ (٨١)
يلهــجُ النــاسُ بشكري دائماً ويعيشونَ بِفعلي آمنــينْ

في حين نجد عدداً من الشعراء يتوجَّهون إلى أرباب الثراء يحثونهم على الإنفاق وعدم البخل بما آتاهم الله –سبحانه وتعالى– من فضله على الفقراء والمحتاجين وقاصدي رحابهم الفسيحة، متبعين ذلك بتذكيرهم بالعاقبة التي سيئول إليها كل بخيل شحيح.

فهذا الشاعر أحمد سالم باعطب يدعو أصحاب المال إلى الجود والإنفاق والمسارعة إلى فعــل الخير، قائلاً (٨٢):

تَمتَّــعْ مــا اســتطعتَ بفضــلِ ربِّــي وجُــدْ بالفضــلِ منــه علــى العبــادِ
ولاتــكُ للنَّــدى خصــماً لــدوداً فتلفظــكَ الحيــاةُ بغــيرِ زادِ
وكــنْ للخــيرِ ســبَّاقاً وجــدِّدْ ولاتمــنُنْ بمالــكَ مــن أيــادِ

فإنَّ النــَّارَ تأكـــــلُ مــــا جمعنا   ولا تبقى   لنا   غيـــرَ   الرَّمادِ

وعلى هذا النحو تأتي مشاركة الشاعرين : أحمد إبراهيم الغزاوي (٨٣)، وصالح الوشمي (٨٤)، في دعوتيهما إلى الكرم والإنفاق.

ويسلك الشعراء: محمد سعيد العامودي ، وإبراهيم فوده ، ومحمد حسن فقي، في دعوتهم مسلكاً آخر من شأنه التأثير في الضانين بأموالهم على المحتاجين إليها، وأعمال البر والخير المشرعة الأبواب ، وحملهم على مافيه صالحهم في الدنيا والآخرة.

فالشاعر محمد سعيد العامودي يتوجه إلى أحد الموسرين متسائلاً عن الغاية التي يتطلع إليها من وراء سعيه الدؤوب لجمع الأموال، ومن ثم القيام بدور الحارس الأمين لها، وما يلاقيه في سبيل المحافظة عليها من عنت وشقاء، مؤكداً له أن القيمة الحقيقية لما يمتلكه من أموال تكمن في تخليدها لذكره بين الناس، وذلك لايتأتى إلا عن طريق تسخيرها لفعل الخير، وجعلها مملوكة لامملَّكة (٨٥):

حـــارسَ المـــالِ أيُّ جـــدوى مـــن المـــا   لِ إذا لم يكــــــنْ هنـــــاكَ ضـــــميرُ ؟
حـــارسَ المـــالِ لســـتَ مالكَـــه..بـــل   أنــــــتَ مملوكُـــــه وأنـــــتَ الأســـــيرُ
أنــــتَ بالمـــالِ في جحــــيمٍ وبالمـــا   لِ شـــــقيٌّ معـــــذَّبٌ مقهـــــورُ
أنـــتَ إن لم تقـــدِّمِ العمـــلَ البـــا   قـــي فكـــلُّ الأمورِ شيءٌ حقيرُ

ويشاركه هذه النظرة البعيدة إلى المال وما ينبغي أن يكون عليه صاحبه، الشاعر إبراهيم فوده ، حيث يقول (٨٦):

غـــيرُ مجـــد –ياصـــاح– أنْ تجمـــعَ المـــا   لَ علـــى حُبِّــــه رُكامـــاً رُكامـــا
قيمـــــةُ المـــالِ حيـــــنَ تســـتعملُ المـــا   لَ وإلاَّ فقـــــد جَمَعْـــــــتَ الرَّغامـــا

ولاتختلف نظرة الشاعر محمد حسن فقي إلى المال عن سابقيه، يظهر ذلك في قوله مفلسفاً موقفه من المال، ومبيناً كيفية إسهامه في إسعاد مالكه، وسبل تنميته والمحافظة عليه؛ لحمل أرباب الثراء على أن ينهجوا ذلك النهج ويسلكوا تلك الطريق [٨٧] :

قـالوا عـن المـالِ مـا قـالوا وأصـدَقُهُ عنـدي وأكرمُـهُ أن تُنفـقَ المـالا

وتسـتريبَ بـه حتَّـى تطهِّـرَهُ كالثَّوبِ ما ترتضـي في الثَّـوبِ أوحـالا

قـد يُسـعد المـالُ إنفاقـاً وتزكيـةً ويهلِـكُ المـالُ إمسـاكاً وإحـلالا

ياليـت نهـري إذا لم يروِ دافقهُ مـا حولهُ من ظماءٍ عادَ أو شالا

والتذكير بالمصير الذي سيئول إليه كل بخيل شحيح ، سواء في الدنيا أو الآخرة ، طرقه أكثر من شاعر.

فالشاعر محمد إبراهيم جدع يفاجئ المتصف بتلك الصفة الحقيرة بتجسيد موقف الناس المحيطين به منه، وبيان مكانته عندهم، قائلاً [٨٨] :

خـابَ مـن نالَ ثراءً في الـورى وهـو لايبـذلُ بـذلَ المنفقينا

أما الشاعر إبراهيم خليل علاّف فيضع المتَّصف بالبخل والشُّح وجهاً لوجه أمام العاقبة التي سيئـول إليها في الآخـرة إن تمادى في كنزه لأمواله، ولم يبادر إلى أداء الحقوق الواجبة عليه فيها، قائلاً [٨٩]:

سَتُطـوَّقون بما بَخلتم فاتقوا نُـذُرَ الإلـه وشـذِّبوا الأرقاما

في حين يقرر الشاعر محمد حسن فقي عدم فلاح الإنسان البخيل في حياتيه حتَّى ينتبه من ابتلي بهذا الداء، ويبادر إلى التخلص منه ،قائلاً [٩٠]:

خسـرتَ بمـالكَ الـدُّنيا ولـم تكْسَـبْ بـه الأُخْـرى

ولم تتوقف مشاركات الشعراء السعوديين في دعوتهم إلى هذه القيمة الأخلاقية عند هذا الحد، و إنما وجدنا منهم من تجاوز مجرد الفخر بتلك القيمة والتشنيع على أعدائها من أثرياء المجتمع إلى تقديم شخصية الإنسان الكريم في صورة واضحة المعالم، متعددة الأبعاد ، تبعث الإعجاب في النفوس. وفي ذلك دعوة غير مباشرة لأفراد المجتمع لاقتفاء أثره، حتى يكونوا –جميعاً– ذلك الإنسان، وفي ذلك يقول الشاعر محمد إبراهيم جدع [٩١]
:

يـا مـن يطيـبُ لـه اللقـاءُ إذا أتـاهُ القاصـدُ

يُبـدي السَّـماحةَ والبشـاشـةَ حـين يـأتي الوافـدُ

ويـراهُ أرحـبَ مـن فنـاءِ الـدَّارِ هـذا الـواردُ

ويـراهُ يعطـي باليمـينِ وبالشِّمـالِ يُساعِدُ

وأتبع الشعراء تقديمهم لشخصية الكريم بنماذج تنتمي إلى مجتمعهم عُرف عنها السخاء والإنفاق، حتى

أصبحت تلك النماذج ملء السمع والبصر. وهم من خلال ذلك يوجهون أثرياء المجتمع إلى السير على ذلك المنوال وانتهاج الطريق نفسه، حتى يجنوا ماجنت من مجد وشهرة، وذكر حسن، ومكانة محمودة في أوساط مجتمعهم .

ويأتي في مقدمة النماذج التي حرص الشعراء على الاحتفال بها وإبراز جهودها، محمد سرور صبَّان. فهذا الشاعر أحمد قنديل يخاطب الصبّان منوهاً بكرمه الفياض ، ومجسداً عشقه لإنفاق الأموال في أوجه الخير المتعددة ، قائلاً (٩٢) :

يا واهبَ الدُّنيا فُنونَ المُنى   وحيدةَ الملمسِ والروْنقِ
مازلتَ للنَّاسِ الأُلى قدَّموا   عبادةَ المالِ على ما بقي
المثلُ الحرُّ فأنتَ الذي   تستعبدُ المالَ ولم تفْرقِ
وهكذا المالُ لدى ربِّهِ   وسيلةُ الأليقِ للأليقِ

ويقول إبراهيم هاشم فلالي عن كرم الصبَّان وسجاياه الحميدة التي مكنّت حبه من التغلغل إلى أفئدة أبناء مجتمعه وتربعه فيها (٩٣) :

هو للشَّكاةِ نجيُّهمُ وصفيُّهم   وإذا أتوهُ رأوه قلباً حانيا
قَبضَ المنى بيمينهِ ويسارِهِ   كم حقَّقتْ للقاصدينَ أمانيا
من كل جنسٍ في الورى قصَّادُه   والكلُّ يرجعُ بالمقاصِدِ هانيا
كَرمٌ لعمرك (حاتِمٌ) لورامه   أعيتْ مذاهبُه وأصبحَ وانيا
وسِعَ الجميعَ ببشرِهِ وسخائِه   ونفوذُهُ يدعُ الممَّنعَ دانيا

المبحث السادس : التواضع

من مكارم الأخلاق وآداب الإسلام التي دعا إليها الشعراء السعوديون التواضع ، وهو خلق إسلامي رفيع ، يكشف عن شرف المتحلي به وأصالة معدنه، ويعلِّي مكانته في أوساط الناس المحيطين به ، ويكسبه حبهم، وتقديرهم، واحترامهم.

وقد حث الإسلام على التواضع وأشاد به ، في حين ذم الكبر وحذّر منه، وإن كانت الدعوة إلى التواضع لم ترد صريحة في آي الذكر الحكيم، إلاَّ إنها تفهم من الآيات التي عرضت للكبر، وحملت إلى جانب ذلك الوعيد الشديد للمتكبرين المتغطرسين، ومن ذلك ما جاء في قول الحق–جل شأنه– : ﴿وأمَّا الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً﴾ {النساء ١٧٣} وقوله: ﴿فلبئسَ مثوى المتكبرين ﴾ {النحل ٢٩} .

أما في السنة النبوية الشريفة فقد جاءت الدعوة إلى التواضع والترغيب فيه صريحة، ومن ذلك ما جاء في

قول الرسول –ﷺ– :(ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله) [٩٤] .

وقد استلهم الشعراء السعوديون في دعوتهم إلى التواضع هذه التوجيهات النيرة وتلك المعاني الجليلة السامية.

والناظر في النصوص الشعرية المتوافرة في هذا الشأن يقف على خلوها من أي دعوة مباشرة إلى التخلق بذلك الخلق الإسلامي الرفيع، وإنما جاءت الدعوة إليه ضمنية وغير صريحة. وأكثر ما تتمثل تلك الدعوة في تصدي الشعراء لداء الكبر، ونقدهم اللاذع الموجه الذي يفصح عن تفاعلهم وانفعالهم بما يرونه بين ظهرانيهم من تفشي ذلك الداء العضال الذي يتنافى مع الطبيعة البشرية ، فأنشأوا– بدافع حرصهم على سلامة مجتمعهم – يحذرون منه، ويحاولون جاهدين تخليص الواقعين من أفراد المجتمع بين براثنه.

وقد سلك الشعراء في تصديهم لذلك الداء وتنفيرهم منه مسالك شتى، تأتي السخرية من المتدثرين بالكبر، وتذكيرهم بماضيهم الذي تناسوه، وتأكيد ضعفهم وعجزهم الذي يحاولون مداراته في مقدمة الأساليب والطرق التي انتهجها الشعراء في تصديهم له، ومحاولة إحلال ضده بديلاً له.

ومن نماذج ذلك قصيدة الشاعر حسين سرحان (سخرية) التي حرص فيها على تذكير أحد المتكبرين المتغطرسين بحقيقته، وإظهار عجزه وضعفه، كل ذلك في قالب ساخر قائم على المفارقة التي من شأنها إبراز التناقض الواضح في حياة ذلك المتكبر المتغطرس [٩٥] :

قـــلْ لمـــن شـــاءَ في الحيـــاةِ فخـــارا   أنـــت ليـــلٌ فكيـــف ترجـــو النـــهارا؟

كـــنْ غنيـــاً فقـــد ولـــدتَ فقـــيراً   لا شِـــعاراً تزهـــو بـــه أو دثِـــارا

وعظيماً فقـــد أتيـــتَ حقـــيراً   أو عزيزاً فقـــد شَبعْـــتَ صَغـــارا

ويتوجه إلى ذلك المتغطرس مذكراً له بالمراحل التي قطعها في حياته، والتي تحمل في تضاعيفها أدلة قوية على عجزه وضعفه وتفاهته [٩٦]:

كُنْـــتَ طفـــلاً يُلـــهى بعقلِـــكَ عجـــزاً   وغلامـــاً تُمـــنى بـــربحٍ خســـارا

ولكـــم عِشـــتَ في الســـبيلِ اعوجاجـــاً   ولكـــم نِلـــتَ في الوصـــالِ ازورارا

ولكم كُنْـــتَ هُـــزأةً لأنـــاسٍ   كُلَّما أطلقـــوا عليـــكَ الغُبارا

ويعمق العلاف السخرية من ذلك المتكبر، حيث يقدمه في صورة (كاريكاتورية) تبعث الاشمئزاز والضحك في النفس معاً [٩٧]:

أخٌ قـــد خانـــهُ الكـــبرُ   وغمـــطُ الحـــقِّ والسُّـــخْرُ

يظـــلُّ مُصـــعِّراً خـــدّاً   صـــفيقاً لحظـــهُ شـــزْرُ

كمثـــلِ أوزّةٍ مُلِئـــتْ   غُـــروراً فيـــه تجتـــرُّ

كـــأنَّ النَّـــاسَ مـــن صَـــدفٍ لديـــه وشخصُـــهُ دُرُّ
حيـــاةُ ســـواهُ تافهـــة وعِـــزَّةُ غـــيرِه نُكْـــرُ

فالعلاف في هذه الأبيات يقدم صورة (كاريكاتورية) لذلك الإنسان المتكبر، وقد جمعت تلك الصورة بين ماهو خفي وظاهر مشاهد في عالم تلك الشخصية . فهوإنسان يحس في نفسه التفوق والتميز على سائر الناس المحيطين به، وقد ترتب على ذلك الإحساس ازدراؤه لمن حوله، وظلمهم، وغمط حقوقهم. كما زينت له تلك الأحاسيس التي تجوب في وجدانه، وتلك الأوهام المريضة الشامخة في عقله، الظهور بذلك المظهر الذي يجسد عقدة النقص عند ذلك الإنسان من جهة، ويثير من جهة أخرى مشاعر الازدراء والسخرية والضحك عند عامة الناس الذين يعرفونه حق المعرفة. فهاهو ذا يسير منتفخاً كأوزة، مصعراً خده، لايعير الناس من حوله أدنى اهتمام ، فهو لاينظر إليهم إلا شزراً، وكأنَّه وحده الذي يعيش على بساط الحياة الممتد، بحيث لم يعد يرى سواه.

ولم تتوقف محاولات الشعراء في التصدي لذلك الداء والسعي إلى تخليص الواقعين بين براثنه من أبناء مجتمعهم عندهذا الحد ، وإنما وجدنا منهم من حمل على عاتقه عناء البحث والتنقيب عن الأسباب والعوامل التي سهلت له الوصول إلى أعماقهم والتغلغل فيها. وقد وقفوا في نهاية رحلتهم على جملة منها، يأتي الثراء بعد فقر مدقع، وتسنم المناصب الرفيعة في مقدمتها.

وانطلاقاً من حرص الشعراء على سلامة مجتمعهم والمنضوين تحت لوائه، شرعوا يبينون لتلك الفئة عدم ديمومة الأشياء التي زينت لهم الظهور بذلك المظهر الأخلاقي الشاذ ، علّهم يرعوون ويعودون إلى جادة الصواب، قبل أن يخسروا أنفسهم والناس المحيطين بهم، وقبل أن يحل بهم سخط الله –سبحانه وتعالى– وغضبه.

فهذا الشاعر محمد حسن فقي يتوجه إلى أحد المتكبرين المتغطرسين بسبب تبدل أحواله، بعد أن حصل على قدر كبير من المال، مؤكداً له ضآلة عقله الذي صوّر له أنه بالمال وحده قد نال المجد من أطرافه، ومذكـــراً إياه بماضيه الذي يحاول جاهداً إسقاطه من أحداق الناس المحيطين به ومحوه من ذاكرتهم(٩٨):

أيا ذا الـــذي يختـــالُ مـــا أســـوأَ النُّهـــى إذا حَســـبَتْ أمجادَهـــا في المتـــارفِ
عرفـــتُك بـــالأمسِ المزايـــلِ مُتْرِبـــاً تـــروغُ هوانـــاً مـــن عُيـــونِ المعـــارفِ
فمالك تبدو اليومَ من بعد حطَّةٍ كدركٍ تظنَّى نفسَهُ في المشارفِ

والمنصب الرفيع الذي زين لبعض معتليه التدثر بذلك الرداء الصفيق ليس دائماً لأحد، فكيف سيكون مصير ذلك المتكبر إذا أفاق من سباته يوماً وإذا الكرسي الذي تفانى في عشقه قد تنكر له واستبدله بآخر ؟.

ذلك ما يجيبنا عنه الشاعر ضياء الدين رجب، في قوله مصوراً سلوك أحد المتكبرين بسبب المنصب الذي وصل إليه، ومجسداً فجيعته التي أوصله إليها عقله السخيف (٩٩) :

يشـــدُّ إلى ســـحرِ الكراســـي حياتَـــهُ ويرجـــعُ بعـــد الفـــوتِ ينشـــدُ ذاتـــهُ
فلاذاتـــهُ أبقـــى ولاالمجـــدُ واهـــمٍ بـــأنَّ حيـــاةَ الـــوهمِ تُبْقـــي حَياتَـــهُ
تلمَّـــسَ في تلـــك الأرائـــكِ نشـــوةً تخَيَّلـــها صـــحواً فكانـــت سُباتَـــهُ
وأغـــرقَ حتَّـــى لايـــرى غـــيرَ نفســـه ســـواها وإلاَّ لاتـــهَ "ومناتَـــهُ"
وفـــاقَ علـــى ســـرِّ الحقيقـــةِ صـــارخاً فأجهشَ إثرَ الرَّكْـبِ والرَّكْـبُ فاتَـــهُ
وهز هـــزةُ الكـــرسيِّ هزَّةُ عابثٍ فأقصاهُ واستعدى عليـــه رُفاتَـــهُ

ويقدم السرحان في أبيات له (١٠٠) سبباً آخر زين لبعض ضعاف النفوس الظهور بذلك المظهر الأخلاقي الشاذ، ويتمثل ذلك في اقتنائهم لما يميزهم عن الآخرين، كالسيارة التي أذنت لذلك الداء العضال بالولوج إلى نفوس تلك الفئة.

والدعوة إلى ترك الكبر والغرور، وإحلال التواضع محلهما، طرقها أكثر من شاعر، إلاّ أن تلك الدعوة لم تأت– فيما توافر لديَّ من نصوص– مباشرة ، وإنما تفهم فهماً من خلال السياق الذي وردت فيه، أو الموقف الذي جسده الشاعر وحمل نظرته البعيدة لحقيقة الأشياء التي تقع عليها عيناه صباح مساء.

فالشاعر محمد حسن فقي يعلن عن زهده في المناصب، إذا كانت ستجعله ينسى نفسه، وتزين له التعالي على الناس من حوله، كما فعلت ذلك ببعض معتليها. يظهر ذلك في قوله ساخراً من أحد المخدوعين ببريق المناصب ، مؤكداً له سخف تفكيره، وضآلة شأنه، وعدم احتفاله به، واحتقاره له (١٠١) :

لاتخـــفْ مـــا يغـــرُّ نفســـي ولايخـــــدعُ عـــيني بريـــقُ هـــذي المناصـــبْ
لستَ عنـــدي ومـــا اكتســـبتَ رخيصـــاً مـــن حُطـــامٍ إلا كنـــارِ الحُباحِـــبْ (١٠٢)
مـــا يضـــيقُ النَّـــسْرُ المحلِّـــقُ ذُرعـــاً وهـــو في جـــوِّه بصـــوتِ الجنـــادبْ (١٠٣)
أترانِـــي وقـــد رأيتُـــكَ تختـــالُ تمنَّيـــتُ مثـــلَ هـــذي المكاسِـــبْ
رُبَّ كَسْبٍ أنكى عليك من الخُسْـــرِ وأقسى من الرَّدَى والمصـــائبْ

ويذكر الشاعر سعد البواردي الإنسان المتجلبب بذلك الرداء الصفيق بأصله الذي منه جاء، وإليه سيعود، مهما طال به العمر. ويعرض للأدواء والعلل التي يتسبب فيها تفشي الكبر والغرور بين الناس . وهو عن طريق ذلك يدعو إلى التواضع الذي يعمر القلوب بالمحبة ، ويغرس في حنايا أبناء المجتمع روح التآلف والوئام (١٠٤):

مـــن تـــرابٍ لقـــد أتينـــا مـــن الأرضِ ولـــلأرضِ – للتُّـــرابِ سنَمضـــي
عجبـــاً للغـــرورِ ينفـــثُ بـــين النـــاسِ سُمَّـــاً .. فمـــن تعـــالٍ لِـبُـــغضِ
إن شـــرَّ النَّفـــوسِ نفـــسٌ علـــى العُجـــبِ تمـــادتْ .. وفي تدنِّيـــهِ تمضـــي
نحنُ هذا الثَّـــرى ســـوى أنَّ فينا دفـــقَ روحٍ .. نبـــضٌ يعدُّ لنبضِ

أما الشاعر علي حافظ فيتوجه إلى معشر المتلقين راسماً لهم مكانة كل من المتواضع والمتكبر في أحداق الناس المحيطين بهما. وهو من خلال ذلك يرغِّب في التواضع، ويحذر من الكبر والتعالي، حيث يقول (١٠٥) :

ومن تواضـــعَ فالجـــوزاءُ موطِنـــه وفي التكبُّـــرِ أحقادٌ وأضغـــانُ

ويسلك الشاعر محمد بن علي السنوسي في دعوته إلى التواضع وتنفيره من الكبر مسلكاً آخر من شأنه التأثير في المتلقين، وحملهم على الأصلح والأجمل لدنياهم وآخرهم ، حيث يقول (١٠٦) :

يـــرفضُ القلـــبُ إذا كـــان كـــبيراً عُقـــدَ الـــنَّقصِ سُـــلوكاً وشُـــعورا
ويراهـــــا دنَســـــاً مُسْـــــتقذراً تألَفُ القَـــزمَ وتســـتهوِي الصَّـــغيرا
يحجـــبُ النـــاقصُ سُـــفلى نفســـه بتعاليـــه علـــى النَّـــاسِ غـــرورا
ورمُ الأَنـــــفِ دليـــــلٌ واضـــــحٌ أنَّ في الـــنَّفسِ جروحـــاً وبُثـــورا
وكـــبيرُ القلـــبِ تلقـــاهُ علـــى كـــلِّ حاليـــه عظيمـــاً وخطـــيرا
هـــو كـــالبحرِ جـــلالاً رائعـــاً وهـــو كـــالرَّوضِ زهـــوراً وعَـــبيرا
نفسُـــــهُ في يـــــده مبســـــوطةٌ تـــزرعُ الخـــيرَ وتبنيـــه قصـــوراً
وضـــــياءُ البِشْـــــرِ في غُرَّتـــــه خُلقـــاً سَـــمْحاً وإيمانـــاً غزيـــرا
يرفضُ العُجْبَ وإنْ هـــشَّ له مبسمُ الدَّهرِ نعيمـــاً وسُرورا

فالسنوسي "في تنفيره من الكبر ، ودعوته إلى التواضع، قد سلك مسلكاً غير مباشر، فهو لم يوجه اللوم لذلك الإنسان المتعالي ، وإنما جاء به في صورة تدعو إلى ذلك النفور. فهو إنسان مريض، يحاول بتعاليه حجب إحساسه الباطن بالدونية والنقص . ولم يقم بإطراء ذلك الإنسان المتواضع ، وإنما قدمه في صورة تدعونا إلى الإعجاب به والتقرب منه. وبهذه المفارقة التصويرية نجح الشاعر في تنفيره مـــن ذلك الداء الخطير، كمـــا نجح في الترغيب لتلك القيمة الخلقية الرفيعة" (١٠٧)

* * *

الفصل الثاني : (الدراسة الفنية)

المبحث الأول : خصائص المضمون في شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق

أولاً : المعاني والأفكار

للمعاني والأفكار أهمية كبرى في الأدب – شعراً ونثراً –. والأدب الذي يخلو من هذا العنصر المهم كلام ساقط لايعتد به مهما بالغ الأديب في بهرجته وزخرفته ، لأنه لاقيمة تذكر لقصيدة شعرية ذات إيقاع قوي رنّان، مع كلمات جوفاء لاماء فيها ولارواء. وقد أشار الناقد الأستاذ مصطفى السحرتي إلى ذلك، مؤكداً قيمة المعاني والأفكار في النص الشعري، يظهر ذلك في قوله: "ولايجوز للناقد العصري أن ينسى في تقدير الشعر الفكرة أو المعنى، لأن الشعر لن يحيا بالنغمات الجوفاء.. ولكن لابد من تمازج الفكرة بالعاطفة، والشعر الذي تعوزه الفكرة ،أو الذي يضم فكرة عادية، شعر مزعج، صادم للنفس".(١٠٨).

وأجود الشعر ما امتزجت فيه الأفكار والمعاني بالعاطفة، ووفق الشاعر في انتقاء الألفاظ القادرة – بفضل استثماره لخصائصها وإمكاناتها– على أداء معانيه تلك ، ومن ثم إحداث التأثير الذي يأمله في وجدان المتلقي.

وذلك لأن ملاءمة الألفاظ للمعاني والأفكار لها دور كبير في جودة القصيدة، وفي ذلك يقول ابن طباطبا العلوي : و " للمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها ، وتقبح في غيرها، فهي كالمعرض للجارية الحسناء، تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض. فكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه، وكم من معرض حسن، قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه"(١٠٩).

ولو عدنا بعد هذه الإشارة إلى أهمية المعاني والأفكار ، وضرورة الملاءمة بينها وبين الألفاظ التي تؤديها – إلى المعاني والأفكار التي تضمنها الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق عند شعرائنا ، لوجدنا طائفة من المعاني حرص الشعراء على ترسيخها في نفوس أبناء مجتمعهم ، وبعث ما اندثر منها أو خبا وهجه فيها، نتيجة لطغيان المادة ، أو انخداع الناس بمظاهر ومغريات الدنيا الفانية.

والمعاني التي عرض لها الشعراء وتناولوها في هذه الفترة دارت حول: علو الهمة وما يتبعها من أنفة ، وعزة نفس، وإباء ، وتطلع إلى معالي الأمور . والدعوة إلى الكرم والإنفاق،والتحذير من البخل والشح، لما في ذلك من إرساء لدعائم التكافل الاجتماعي، وتقوية أواصر المحبة والأخوة الحقة بين أفراد المجتمع، ووأد بعض الأدواء والعلل التي تترتب على الفقر والحاجة الماسة من قتل، وسلب، ونهب،وحسد وحقد لأرباب الثراء. ودعوا إلى القناعة والرضا بما قسمه الله لعباده من الرزق، بعد الأخذ بالأسباب ، وبصّروا الذين أغراهم بريق المال بارتكاب المحظورات في سبيل تحصيله بالعاقبة التي سيئولون إليها، في محاولة جادة لتخليص الواقعين – من أبناء مجتمعهم– بين براثن حب المال وعشق الدنيا الفانية مما هم فيه. ولم يغفلوا الدعوة إلى التواضع وذم الكبر، وتجاوز ذلك إلى بيان العواقب الوخيمة المترتبة على تجلبب الناس بذلك الرداء الصفيق، ناشدين فلاحهم وصلاحهم في الدنيا

والآخرة. كما دعوا إلى الصداقة والإخاء والتوادد، وحثوا على الصدق والإخلاص فيها، ومحاولة التغاضي عما يعكر صفوها في بعض الأحيان أملاً في استمرارها، وذموا الذين يدّعون الصداقة ، ويتفننون في التمويه على الناس وخداعهم، وحذروا من التعامل مع من نهج ذلك النهج. وحثوا على الصبر، وبينوا الفوائد التي يجنيها الإنسان الصابر المحتسب في حياته وبعد مماته.

وهذه المعاني – كما لايخفى– معاني مطروقة ، سبق للشعراء تناولها ، سواء الذين عاصروا شعـــراءنا ، أو الذين سبقـــوهم بمراحـــل زمنـــية، قريبـــة كانت أو بعيدة .

إلا أن قدم تلك المعاني والأفكار وتداولها على ألسنة الشعراء لايعني –بأي حال من الأحوال– أن الشعراء السعوديين كانوا مقلدين لمن سبقوهم، ومجترين لما قالوه لاغير، ذلك لأن المعاني التي تناولوها في شعرهم معاني أصيلة وسامية صالحة لكل زمان ومكان، تستمد ذلك كله من الينابيع الثَّرَّة، والمناهل العذبة الصافية التي استقوها منها قديماً وحديثاً.

ولعل أهم ما يميز تلك المعاني والأفكار أنها لم تأتِ – في معظم الشعر الذي عرضنا له– على صورة الشعر الوعظي الإرشادي الخالي من جل عناصر الفن ومقومات الجمال، وإنما جاءت مستوفية لعناصر التجربة الفنية الناجحة ومقوماتها.

والوضوح ملمح بارز في الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق في الشعر السعودي ، وأحسب أن ذلك راجع إلى سببين اثنين:

أولهما: تمكن تلك المعاني من كيانات الشعراء ، وتفاعلهم معها وانفعالهم بها، بعد أن تشربها وجدانهم، وامتلأت بها خلجاتهم، فجالوا فيها ، وغاصوا في أعماقها، فعبروا عنها أصدق تعبير.

ثانيهما: حرص الشعراء على إشاعة تلك الآداب والأخلاق الإسلامية الرفيعة وإرساء دعائمها في محيط مجتمعهم. وهذه الغاية –كما نعلم– تحتاج إلى الوضوح في الطرح والتناول ، حتى يستطيعوا تحقيقها من خلال وصولهم إلى جل الفئات التي يتكون منها مجتمعهم.

ومن النماذج التي يمكن أن نسوقها للاستشهاد، ما جاء في قول الشاعر ضياء الدين رجب من قصيدته (سحر الكراسي) (١١٠) :

يشـــدُّ إلى سحــــرِ الكراســـي حياتَـــهُ ويرجـــعُ بعـــد الفـــوت ينشـــدُ ذاتَـــهُ
فـــلا ذاتـــهُ أبقـــى ولامجـــدُ واهـــمٍ بـــأنَّ حيـــاةَ الـــوهمِ تُبقـــى حياتَـــهُ
تلمَّـــسَ في تلـــك الأرائـــكِ نشـــوةً تخيَّلـــها صـــحواً فكانـــت سُـــباتَهُ
وأغـــرقَ حـــتى لايـــرى غـــيرَ نفســـه ســـــواها وإلا "لاتــــهُ" و"مناتَـــــهُ"
وفـــاقَ علـــى سِـــرِّ الحقيقـــةِ صـــارخاً فأجهشَ إثْرَ الرَّكْبِ والرَّكْبُ فاتَهُ فأقصـــاهُ

وهزهزة الكـــــرسيِّ هـــزَّةُ عابثٍ   واستعـــدى عليه رُفـــاتَهُ

فالشاعر في قصيدته التي قدمنا منها هذه الأبيات يسلط الأضواء على أحد المظاهر السلبية الشاذة في مجتمعه ، وهوداء الكبـــر الذي وجد الطريق إلى التغلغـــل داخل نفوس بعـــض أفـــراد المجتمـــع ممهـــداً لأي سبب من الأسباب القادرة – في ظل ضعف الوازع الديني لديهم– على التأثير في سلوكهم ومواقفهم في الحياة.

والفكرة التي تدور حولها تلك الأبيات، هي أن الحياة الدنيا لاتعرف الاستقرار والثبات، وإنما هي متقلبة وسريعة الانفلات من حالة إلى أخرى، وما دامت هي كذلك فإن أحوال الراتعين في فنائها الرحب عرضة لذلك التقلب وعدم الاستقرار والثبات على حالٍ واحدة.

وشاعرنا لم يقرر تلك الفكرة، ولم يباشر نقده لتلك الفئة أوتوجيهه لها، وإنما أوحى بذلك كله إيحاءً ، عن طريق تقديمه لتجربة أحد المنتمين لتلك الفئة.

وقد كشف الشاعر –في ثنايا عرضه لفكرته– عن مقدرة فائقة في الولوج إلى أعماق النفس الإنسانية وسبر أغوارها ، واستكناه ما يجوب فيها من أحاسيس ومشاعر. ففي النموذج الذي قدَّمه وضع المتلقي وجهاً لوجه أمام المشاعر والأحاسيس التي ازدحم بها وجدان ذلك الإنسان في حالة إقبال الدنيا عليه وإدبارها عنه . ففي الوقت الذي أخذه العجب بنفسه وتعالى على الناس من حوله وتكبر، بحيث لم يعد يرى سواه، بسبب المنصب الذي تقلده، إذابه يبدو حزيناً منكسراً، وتائهاً في الحياة، تلاحقه النظرات – كما يتصور– الممتلئة شفقة، وربما سخرية وسخطاً أينما اتجه، وفي أي درب سار.

ولعل امتلاء وجدان الشاعر بفكرته التي أراد التعبير عنها، واختياره للعناصر والحوادث القادرة على توضيحها، وترتيبه لها وتسلسلها، هي التي وفرت لتجربته كل عوامل النجاح، ومكنته من إقناع المتلقي بفكرته، والوصول إلى وجدانه والتأثير فيه.

ومن النماذج التي تؤكد وضوح المعاني والأفكار في الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق، ما جاء في قول الشاعر محمد سرور صبّان (١١١) :

يـــــا بُـــــنيَّ اصـــــبِرْ ولاتيــــأسْ إذا   مسَّـــــكَ الهـــــمُّ وجافــــاكَ الخـــــدينْ

إنَّ في الصَّـــــــبرِ ســـــــلاحاً واقيـــــاً   مـــن شـــرورِ النَّـــاسِ والـــدَّاءِ الـــدَّفينْ

في زمـــــانٍ أصـــــبحَ المـــــالُ بـــــهِ   سُـــــلَّمَ الخـــــزي لـــــبعضِ الفاســـــقينْ

وغـــدا الدِّينـــــارُ طـــوعاً للأُلي   بـــدَّدوهُ فـــي تعاطي مـــا يَشينْ

فهذه الأبيات تدور حول فكرة واضحة هي التأكيد على قيمة الصبر في حياة المتخلقين به في زمن افتقد فيه الإنسان النبيل الإحساس بالأمن والطمأنينة، نتيجة لتغير سلوك المحيطين به من الإخوان والأصدقاء بسبب المال وبريقه الذي خلب عقولهم، وأخذ بمجامع قلوبهم.

وقد استطاع الشاعر بناء على تمكنه من ناصية اللغة التي يعبر بها عن فيض مشاعره وأحاسيسه، ورؤيته العميقة الواسعة للحياة والأحياء من حوله، أن يسرد تلك الفكرة التي يؤمن بها في غير استطراد ممل، وفي أسلوب سهل الأداء، طيع التناول، قد خلا من الحوشي ،وتبرأ من الغريب، بحيث ظهرت لقارئها واضحة جلية، مكتملة الجوانب ، غير مترامية ولامتباعدة ، ومترابطة ومنسجمة في بنائها.

ولجوء بعض شعرائنا للرمز في التعبير عن أفكارهم ومعانيهم لايتنافى مع ما سبق أن أكدناه من وضوح المعاني والأفكار التي طرقها الشعراء، وحواها شعرهم الذي دار حول مكارم الأخلاق. لأن الرمز الذي اعتمد عليه بعض شعرائنا لم يتجاوز التلميح والإشارة الخفية التي لاتتضح إلاّ بعد كد الذهن، وإطالة التأمل، ولم يبلغ الرمزية كما يفهمها الغربيون والمتأثرون بهم من الشعراء العرب المعاصرين ويطبقونها في أدبهم.

ومن القصائد التي نحت هذا المنحى في الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق، قصيدة السرحان (الدودة الأخيرة) التي جسد فيها الصراع الذي احتدم بين ملايين الدود بعد أن التهمت جثة أحد المتوفين، طمعاً في البقاء والخلود.

يقول الشاعر في بعض مقاطعها مصوراً ذلك الصراع والنهاية التي أسفر عنها [١١٢] :

ثمَّ خَـــلاَ الــــدُّودُ إلى بعْضِـــه مـــن بعـــد أكـــلِ الجُـثَّـــة العافيـــةْ
وابتـــــدَأتْ معْرَكــــةٌ فَـــــذّةٌ تســـحقُ أوهـــامَ المُنَـــى الغَافِيـــةْ

****

وَاختُـــتِمَ المَـــرْأى علـــى دُودَتَـــينْ مِـــنْ بعـــدِ فتـــكٍ وافْتِـــراسٍ وأيـــنْ [١١٣]

****

واحتـــدَمَ الجـــوعُ فلـــم تَصـــطبرْ إحـــداهُما وانـــبرَتِ الثَّانيـــةْ
كِلتاهمـــا تبْغـــي البقـــاءَ الـــذِي أعيَـــا جميـــعَ الأُمَـــمِ الماضِـــيةْ

****

حتَّـــى وَهَـــتْ إحـــداهُما وارتخَـــتْ فابتْلَعتْهـــا الـــدُّودةُ الظَّـــافِره

****

وغبـــرتْ ســـاعاتُ بـــرحٍ أليمْ ونَالَها في الجـوعِ أمـرٌ عظيمْ [١١٤]
حالـــةُ نحـــسٍ بعـــد ســـعدٍ وهـــلْ مـــن حالـــةٍ عنـــدَ الليـــالي تـــدومْ ؟
وجَهِـــدتْ تُبقـــي علـــى نفسِـــها مـــا ادَّخرتـــهُ مـــن ذمـــاءِ الحيـــاةْ
تنهـــشُ من أحشـــائِها ما تقـــي بـــه كـــريمَ الرُّوحِ كَرْبَ الوفاةْ

فالسرحان يرمز بهذه القصيدة ذات النزعة القصصية إلى التطاحن والتكالب الذي يراه من بعض أفراد

مجتمعه على حطام الدنيا الزائل، مضحين في سبيل ذلك بالقيم والمبادئ التي نشأوا وترعرعوا عليها، ناسين أن الحياة التي يغالون في عشقها ماهي إلاَّ مسافة سيجتازونها إلى حياة أخرى دائمة، سواء طال بهم العمر أو قصر.

وقد قدم السرحان في ثنايا قصيدته ما يعين القارئ على فهم مراميه البعيدة من وراء عرضه ذلك الصراع والنهاية التي أسفر عنها، وهي تبصير الناس المتهافتين على جمع الأموال، وعشق الحياة الفانية، بالنهاية التي تنتظرهم ، علَّهم يرعوون، ويعودون إلى جادة الصواب قبل فوات الأوان.

حيث يقول في أحد مقاطعها مجسداً الصراع من أجل البقاء، وبطش القوي بالضعيف في سبيل تحقيق ذلك (١١٥) :

الـــدُّودُ يُــردي بعضَـــهُ جاهــداً يقتـــاتُ أقـــواهُ مـــن الأضـــعفِ
كالنَّاسِ والطَّبـعُ لـــه شاهــدٌ في حيثـما يَّمتَ مـن مقـذفِ

ويقول في موضع آخر نافياً الفرق بين ما حدث في القبر بين ملايين الدود، وبين ما يحدث على بساط الحياة بين ملايين البشر (١١٦) :

ما الفرقُ بين الحربِ عنــد الأنامْ والحربُ عنــد الدُّودِ فوق الرَّغامْ؟

وإذا أمعنا النظر في أغلب المعاني التي عرض لها الشعراء ، لوقفنا على استمدادهـــم لها مـــن القـــرآن الكـــريم. والقـــرآن الكـــريم معيـــن لاينضب للمعاني الجليلة السامية.

ومن تلك المعاني المستمدة من القرآن الكريم ما جاء في قول الشاعر إبراهيم هاشم فلالي (١١٧) :

حسبي لدى الـــرُّزءِ إيمــاني بمقتدرٍ لايحبِـــسُ الرِّزقَ عن باغٍ ومغلوبِ

فالمعنى الذي يدور حوله هذا البيت مستمد من قول الله تعالى: ﴿أوَلَمْ يعلموا أنَّ اللهَ يبسطُ الرزقَ لمن يشاءُ ويقدرُ﴾ {الزمر ٥٢}، وقوله تعالى : ﴿لهُ مقاليدُ السموات والأرض يبسطُ الرزقَ لمن يشاءُ ويقدرْ ﴾ {الشورى ١٢}.

ويستمـــد الشاعر أحمـــد ســـالم باعطب في دعوته إلى الكـــرم والإنفاق، وعدم المن بعد الإنفاق والعطاء، في قوله (١١٨):

وكنْ للخـــيرِ سبَّـــاقاً وجـــدِّدْ ولاتَمنُــــنْ بمالك مـــن إيـــادِ

فالمعنى الذي يدور حوله هذا البيت مستمد من قوله تعالى: ﴿الذين ينفقونَ أموالهمْ في سبيل الله ثمَّ لايُتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذىً لهم أجرهم عندَ ربِّهمْ ولاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنونَ ..﴾ { البقرة ٢٦٢}

وفي توجيهه إلى عدم الاغترار بالحياة الدنيا، لأن مآل الناس إلى الموت والهلاك، سواء كانوا أغنياء، أو فقراء معدمين ، كما في قوله (١١٩) :

تمتَّــعْ بالحياةِ وعِــشْ قنـــوعاً فإنّـَـكَ هــالكٌ والمــالُ فـــانٍ

فما حواه الشطر الثاني من هذا البيت مستمد من قوله تعالى:﴿ لا إله إلاَّ هوَ كلُّ شيءٍ هالكٌ إلاَّ وجههُ.. ﴾{القصص ٨٨].

وفي دعــوة الشــاعر محمد حســن فقــي إلــى الإنفاق والبذل، والحرص على تطهير الأموال بالزكاة والصدقات الجارية [١٢٠]:

قــالوا عــنِ المــالِ مــا قــالوا وأصــدقهُ عنـــدي وأكرمُـــهُ أن تُنفِـــقَ المـــالا
وتستريبَ بــه حتَّــى تطهِّـــرَهُ كالثَّوبِ ما تَرتضي في الثَّوْبِ أوحالا

فالمعنى الذي يدور حوله البيت الثاني مستمد من قوله تعالى:﴿ خذْ منْ أموالهمْ صدقةً تطهِّرهم وتزكّيهمْ بها..﴾ {التوبة ١٠٣}

ثانياً : العاطفة

تعد العاطفة عنصراً هاما وفاعلاً في بناء النص الأدبي، ذلك لأن "تطعيم المعاني بالمشاعر الوجدانية يزيد من حرارتها في نفس القارئ والمتذوق، فتكون أوفر تعبيراً عن صدق التجربة والمعاناة، وتضفي على النتاج الفني غنىً وثراء، مصدره المشاعر النفسية التي تبث الحياة في الأثر الفني وتخصبه" [١٢١] .

والشعر الذي عرضنا له في هذه الدراسة توافرت في أكثره عناصر التجربة الشعرية الناجحة لوجود أبرز عنصرين فيه ، وهما : أصالة الأفكار وسموها، وحرارة وقوة العاطفة، بالإضافة إلى بقية العناصر التي تسهم في تجسيد التجربة الشعرية، من خيال وتصوير ، ولغة وإيقاع، "وتلازم العنصرين (فكراً وعاطفة) هو المقياس الأساسي والمسير الحقيقي للشعر، فلايرتفع الشعر الهادف إن فقد عنصر العاطفة والانفعال، ولايسمو إذا تجرّد من قيمته الفكرية وهدفه الرفيع، وتمرغ في الضلالة والفساد، وإن تحققت فيه العناصر العاطفية".[١٢٢]

ولعل أهم ما يميز العاطفة في معظم الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق أنها كانت صادقة ، ومرد ذلك –كما أرى– إلى كون الشعراء لم يهدفوا من وراء قولهم ذلك الشعر إلى طلب منفعة مادية، أو مناصب رفيعة وجاهاً عريضاً، وإنما كان استجابة طبيعية لخلجات نفوسهم، وصدى لتجارب عميقة عاناها مبدعوها في الحياة ، فعبروا عنها أصدق تعبير.

وقوة العاطفة وسموها ملمح بارز في معظم النصوص التي عرضنا لها ومن أبرز مظاهر قوتها ، قدرتها على إثارة المتلقي ، وهزِّ وجدانه ، ومن ثم حمله على التفاعل معها، وأنها مستمرة وثابتة في النص كله.

ومن النماذج التي يمكن أن نسوقها للوقوف على توافر العاطفة وصدقها وقوتها وسموها، ما جاء في قول الشاعر محمد سراج خراز [١٢٣] :

أنــــا مهمـــا أُتْرِعــــتَ كــأْ ســـيَ مـــن مُـــرِّ الشَّــرابِ
لســـتُ بالمــذعنِ لليــأْ سِ ولاعَزْمـــي بنـــابي
لا ولا الشَّـــاكي وهـــل تَسْـــ معُـــني صُـــمُّ الصِّــلابِ
لا ولا غشَّـــى ســـنا ودِّ يَ مُرْبَـــدُّ الضَّـــبابِ
دأبـــي السَّعْيُ ولـــو أنَّـ ـــيَ لـــم أبْلُـــغْ رغـــابِي

فهذه الأبيات تجسد موقف الشاعر في حياته، وتكشف عن نفس تتطلع –دائماً– إلى معالي الأمور، وتأنف من سفاسفها، وتستعذب في سبيل بقائها محلقة في عليائها كل ألوان الشقاء والعنت.

وقد جاء صوت العاطفة فيها قوياً مدوياً ، من شأنه هزُّ مشاعر وأحاسيس المتلقي، وإشعال فتيل الهمة في عالمه، وتحفيزه على المضي قدماً في سبيل تحقيق أحلامه وطموحاته في الحياة، واقتحام الصعاب –مهما كانت– متسلحاً بالصبر وعدم اليأس من بلوغ الغايات التي يسعى إليها في حياته.

وإذا كنا قد وقفنا في الأبيات السابقة على عاطفة قوية هادرة تهز المتلقي هزّاً، فإننا نقف عند الشاعر محمد حسن فقي على عاطفة هادئة رزينة، قادرةعلى التغلغل في وجدان المتلقي ، وإيقاظ ما غفى فيه من أحاسيس ومشاعر إنسانية نبيلة، حيث يقول [١٢٤]:

قـــالوا عـــن المـــالِ مـــا قـــالوا وأصـــدقهُ عنـــدي وأكرمـــهُ أن تُنفـــقَ المـــالا
وتســـتريبَ بـــه حتَّـــى تُطهِّـــرَهُ كالثَّوبِ ما ترتضـي في الثَّـوبِ أوحـالا
قـــد يُســـعد المـــالُ إنفاقـــاً وتزكيـــةً ويهلـــكُ المـــالُ إمســـاكاً وإحـــلالا
ياليـــت نهري إذا لـــم يروِ دافقهُ مـا حـــولهُ من ظماءٍ عادَ أو شالا

فالدعوة التي تضمنتها هذه الأبيات تشفُّ عن عاطفة إنسانية فياضة تحب الخير وترجوه للجميع، ولعل في تمنيه وصول مياه نهره إلى كل المحيطين به، كي يرووا عطشهم منها ما يؤكد تدفق تلك العاطفة السامية وصدقها.

وتبرد العاطفة في بعض النصوص فتستحيل إلى نظم بارد خالٍ من كل عناصر الشعر باستثناء الوزن والقافية، وهما –وحدهما– عاجزان عن إكساب تلك النصوص الحياة والخلود في ضمائر الناس ووجداناتهم.

ومن تلك النصوص التي بردت فيها العاطفة ، ما جاء في قول الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي [١٢٥] :

هيهـــاتَ تـــمـــلكُ حيلـــةً فيمـــا أصـــابكَ مـــن رهَـــقْ
مـــا أنـــتَ إلاَّ الـــمُبْتلى كِســـواكَ ممَّـــنْ قـــد خُلِـــقْ
وإذا ابتغيـــتَ ســـلامةً في كـــلِّ مـــا جـــلَّ ودقْ
سلِّـــمْ ولاتقنـــطْ تفُـــزْ بالحفظِ مـــن ربِّ الفلـــقْ

فالشاعر في هذه الأبيات يورد جملة من الحقائق والأفكار التي يشترك معه المتلقي العادي في إدراكها، وقد

جاءت تلك الحقائق في قالب نثري بارد، غير قادر على ملامسة وجدان المتلقي والتأثير فيه، نظراً لافتقاد تلك الأبيات لجل عناصر الشعر ودعائمه، من إيقاع ، وصور ، وظلال ، وإيحاء. وذلك راجع إلى ضعف عاطفة الشاعر وبرودها، وقد أدّى ذلك الضعف إلى غياب عنصرالخيال، للعلاقة القوية التي تربطهما ببعض، فكلما كانت العاطفة قوية احتاجت إلى خيال قوي يعين صاحبها على إبرازها وإظهارها، ويزيد من روعتها، ودرجة تأثيرها لدى المتلقــي بمـــا يضفيه عليها من حياة وحركة، وصور وظلال جميلة.(١٢٦)

وتقوى العاطفة عند بعض الشعراء قوة يفقدون معها السيطرة عليها فتدفعهم إلى نوع من المبالغات التي يأباها العقل لتزييفها الحقائق ، وتصويرها غير الواقع .

ومثل هذا النوع من المبالغات التي يكون لطغيان العاطفة وغليانها دور في ظهورها مرفوضة، وفي ذلك يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : "ليس من الصواب قبول المبالغة ، وما يتصل بها على وجه الإطلاق ولارفضها كذلك ولاتعميم القول بقبولها في حال الاعتدال والتوسط كما ذهب إلى ذلك النقاد العرب القدامى، بل الصواب أن نقبل هذه الوجوه وما سواها على أساس الصدق، فإذا لم تزيف الحقائق ولم تصور غير الواقع، ولم توهم الباطل، كانت مقبولة، بل قد تكون دعامة الصدق الفني لتصوير المعنى، وإثارة الخيال، وتوصيل أعمق الحقائق إلى العقل والقلب معاً..). (١٢٧)

ومن نماذج ذلك ما جاء في قول الشاعر محمد أمين يحيى (١٢٨) :

قالوا قَلوتَ إخـــاءَ النَّـــاسِ عـــن صَـــلف	وقــــد تعاليـــتَ كِـــبراً صــــاغهُ الحـــرَدُ
أَغَـــرَّكَ العلــــمُ والعرفــــانُ فارتفعـــتْ	بــكَ الظُّنـــونُ عـــن الـــدُّنيا ومـــا تَلــدُ
أمْ أنت تحسب دنيـــا النَّـــاسِ قـــد مُلِئـــتْ	شـــرَّاً يخالطُـــهُ الإنكـــارُ والحســـدُ
فقلـــتُ خلُّـــوا ســـبيلي إنـــني رجــــلٌ	أصبحتُ عـــن خِـــبرةٍ في النَّـــاسِ اقتصـــدُ
قد جرَّبَ النـــاسُ قبلـــي بعضـــهم فبـــدتْ	لهـــم حقـــائقهم زيفــــاً فمـــا اتَّحـــدوا
وقد بلوتُ –بـــدوري– النـــاسَ أكثـــرهم	فلم يكـــنْ عنـــد وقـــع الـــرُّزْءِ مُســـتَنَدُ
فعدتُ ســـأمان من دنياهموا فرحاً	بوحدتي قانعـــاً .. والحـــرُّ ينفرِدُ

فالشاعر في هذه الأبيات صادق الشعور، قوي العاطفة، إلاّ أننا نخالفه فيما ذهب إليه من تعميم صفة الغدر على كل الناس وإلصاقها بهم، لأن في ذلك قدراً كبيراً من المبالغة التي لايصدقها العقل، ولايقبلها الواقع، والتي من شأنها بذر روح التشاؤم واليأس من وجود أناس –في المجتمع– يقدرون الصداقة بوصفها خلقاً إسلامياً رفيعاً، ويعرفون قيمتها في حياتهم. وهذا الإحساس أو الشعور إذا استشرى في المجتمع قادر على هتك أواصر الوحدة والمحبة التي ينعم بها أفراده. وذلك هو الخطر الذي يخشى على المجتمع منه، إذ لامجد يرتجى لمجتمع تنحل فيه عرى تلك الروابط، وتسود فيه البغضاء والكراهية، بدلاً من المحبة والوئام .

المبحث الثاني: (خصائص الشكل في شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق)

أولاً : اللغة

اللغة عنصر رئيس من عناصر الإبداع الشعري، بل هي "الأداة الأم التي تخرج كل الأدوات الشعرية الأخرى من تحت عباءتها، وتمارس دورها في إطارها" (١٢٩) .

والذي ينبغي أن نشير إليه أننا لانعني باللغة اللفظة المفردة، وإنما نعني بها "وجودها في سياق خاص، واتصالها بكلمات أخرى تتفاعل معها ، وتؤثر فيها، وتتأثر بها" (١٣٠)

واللغة في الشعر ليست وسيلة للتعبير عن أي شيءٍ كما هو الحال بالنسبة للعلم، وإنما هي غاية في حد ذاتها، فالشاعر "يبحث عن المعنى ويعثر عليه، ويبنيه بناءً شعرياً من خلال اللغة ، وفي أثناء صراعه معها، وليس ثمة معان شعرية كامنة خارج التركيب اللغوي، كما أنه ليس ثمة معنى يتكامل دون بحث باللغة ودون إعادة تشكيل العلاقات اللغوية –الموجودة والمبتدعة– في نسق خاص، أو هيئة خاصة. ولا أعني بهذا أن كل قصيدة جيدة تقدم اللغة في سياق خاص بها، ويصدق هذا على الكلمات كما يصدق على العبارات والتراكيب ،والرموز، والصور" (١٣١)

والشعر الجيد هو الذي يمتاز بتجانس الألفاظ والمعاني، فترق تلك الألفاظ في المواضع التي تتطلب تلك الرقة ، وتجزل وتشتد في المواضع التي تتطلب تلك الشدة والجزالة.

والناظر في لغة الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق يقف على تنوعها، من حيث الشدة والجزالة، والرقة والسهولة. ولعل ذلك راجع إلى طبيعة الموضوعات التي عرض لها الشعراء ،والتي أملت عليهم ذلك التنوع في أساليب وطرق الأداء ، بالإضافة إلى تباين منازعهم ومشاربهم الثقافية واتجاهاتهم الفنية.

ومـــن نماذج استخدام الشعراء للألفـــاظ الجـــزلة والتـــراكيب القويـــة الفخمـــة، مـــا جـــاء فـــي قـــول الشـــاعر حسين سرحان (١٣٢) :

إنَّ التَّجَمُّـــلَ لي مـــن شـــيمةٍ فُطِـــرَتْ   نفســـي عليهـــا ونالـــتْ أَوْجَهـــا العـــالي

أعـــــيشُ بـــالآلِ تـــرويني خوادعُـــه   إن ضَـــنَّ غيـــبٌ بوبـــلٍ منـــه هطَّـــالِ

وألـــبسُ الخلـــقَ البـــالي أصـــونُ بـــهِ   كـــرامتي وأشـــوبُ المـــرَّ بالحـــالي

ترفُّعـــاً بإبـــائي أن تضعضعَـــهُ   قوارعُ من زمـــانٍ ذات أهوالِ

فالسرحان في هذه الأبيات قداختار مجموعة من الألفاظ الجزلة الفخمة الملائمة للمعاني القوية التي تضمنتها من إباء وشمم ، وترفع عن الصغائر، وثبات وتجلد رغم قسوة الحياة. وذلك مثل: (خوادعه ، ضنَّ، وبل، هطّال، تضعضعه، وقوارع، أهوال..) .

ولم تتوقف مهمة الألفاظ التي اعتمد عليها السرحان عند مهمة أداء المعاني التي كانت تجوب في وجدانه فحسب، وإنما تجاوزت بعضها ذلك كله إلى تجسيد الصعوبات التي تزدحم بها حياته، والآلام الثقال التي ينوء بها كاهله، سواء من خلال معانيها المتداولة المعروفة، أو من خلال جرسها الصوتي وما يشع منها من صور وظلال. وذلك مثل : (تضعضعه ، قوارع، أهوال).

والأبيات السابقة لم تخلُ من بعض الألفاظ التي يصعب على معظم أبناء العصر معرفة مدلولاتها دون الرجوع إلى المعاجم والقواميس، من مثل : (الآل، وبل ، الخلق ، أشوب) .

وتلك الخصائص والسمات التي وقفنا عليها تكاد لاتفارق أسلوب الشاعر حسين سرحان في معظم شعره [(١٣٣)].

ولدى الشاعر محمد عبدالقادر فقيه نقف على هذا النمط من الألفاظ والتراكيب، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة الموضوع الذي عالجه، والانفعال الذي سعى إلى تجسيده ، لأنه من شعرائنا الذين يجنحون –في معظم شعرهم– إلى الألفاظ السهلة الرقيقة ، والتعابير الهامسة الموحية. [(١٣٤)]

يقول الشاعر متبرماً من غدر أصدقائه به، ومبدياً جزعه وحسرته على نفسه المكلومة [(١٣٥)] :

ضيعتُ عمري وأعوامَ الشَّبابِ سُدًى لمعشرٍ ودُّهم بين الورى لُمَعُ
الغادرين بعهدِ الحبِّ لا أسفٌ منهم عليه ولاخوفٌ ولاجزعُ
كأنني لم أكنْ أرضاً لهم وسما وسُلَّماً للمعالي عندما طَلَعوا
وما حَبَسْتُ على أفراحهم فرحي وما بكيتُ على حُزنٍ بهم يقعُ
لو مُثِّلَ الغدرُ في شخصٍ لكان له من فِعلهم وسِماهم منظرٌ بَشِعُ

ففي هذه الأبيات تظهر طائفة من الألفاظ والتراكيب القوية الفخمة الملائمة لانفعال الشاعر الثائر ، والقادرة على تجسيد حالة الجزع التي انتابته ، وذلك مثل : (ضيّعتُ عمري، أعوام الشباب سدىً ، ودُّهم لمع، الغادرين بعهد الحب، جزع، لم أكن أرضاً لهم، بكيت على حزن بهم يقع، من فعلهم وسماهم منظرٌ بشع ..)

وتقابل الجزالة والفخامة في نتاج شعرائنا الذي دار حول مكارم الأخلاق السهولة والرقة ، والميل إلى استخدام ألفاظ قريبة من أبناء المجتمع ، ومألوفة بالنسبة لهم.

ومن نماذج اعتماد شعرائنا على هذا النمط في ألفاظهم وتراكيبهم، ماجاء في قول الشاعر محمد بن علي السنوسي [(١٣٦)]:

وكبيرُ القلبِ تلقاهُ على كلِّ حاليهِ عظيماً وخطيراً
هو كالبحرِ جلالاً رائعاً وهو كالرَّوضِ زُهوراً وعبيراً
نفسُهُ في يدِهِ مَبسوطةٌ تزرعُ الخَيْرَ وتَبْنيهِ قُصورا

وضـــــياءُ البِشْـــــرِ في غُرَّتِـــــهِ خُلقـــاً سمحـــاً وإيمانـــاً غزيـــرا
يرفضُ العـُجْبَ وإنْ هـشَّ لهُ مبسمُ الـدَّهـرِ نعيماً وسرورا

فالسنوسي في هذه الأبيات يقدم صورة الإنسان المتواضع لأبناء مجتمعه، في محاولة جادة لتنفيرهم من داء الكبر والغرور، وحملهم على التواضع الذي فيه سعادهم في الدنيا والآخرة، ولذلك احتشدت تلك الأبيات بالألفاظ الرقيقة السهلة والمألوفة بالنسبة لهم، والتراكيب السلسة التي تتجاوز أسماعهم إلى أفئدهم، لتحركها وتنبهها من غفلتها ، وذلك مثل : (القلب، البحر ، جلالاً رائعاً، كالروض زهوراً وعبيراً ، تزرع الخير، تبنيه قصوراً ، سمحاً ، هشَّ، مبسم الدهر، نعيماً وسروراً ..).

إلاَّ أن ذلك الحرص من بعض شعرائنا على الاقتراب من ذوق أبناء مجتمعهم قد صبغ بعض مشاركاهم الشعرية بالمباشرة والتقريرية .

ومن النماذج التي يمكننا أن نسوقها للاستشهاد، ما جاء في قول الشاعر محمد إبراهيم جدع [١٣٧] :

إنَّ في الصَّـــبرِ عـــزاءً ورجـــاءً للنَّبيـــه
ينشـــدُ العليـــاءَ في خيـــرٍ وعـــزمٍ ينتضـــيه
فـــإذا العليـــاءُ تُـــؤْتى نحـــو مجـــدٍ لايتيـــه
فـــإذا مـــا كـــان عُســـراً صـــارَ يســـراً يلتقيـــه
بكفـــاحٍ ونضـــالٍ وابتغـــاءٍ يرتقيـــه
فاســـع للعليـــاءِ تســـعدْ ولفضـــلٍ تزدهيـــه

ففي هذه الأبيات سهولة مفرطة ، جاءت نتيجة لنوعية الألفاظ والتراكيب التي اعتمد عليها الشاعر، فهي لم تستطيع أن هب الأبيات السابقة أبعاداً جمالية من شأنها التأثير في وجدان المتلقي، وكل الذي استطاعته هو توصيل المعنى الذي قصده الشاعر لاغير، وبذلك تخرج تلك الأبيات من دائرة الشعر إلى دائرة النظم البارد والنثر الركيك.

وتبع ذلك تسلل بعض الألفاظ والعبارات العامية والمصطلحات العلمية، إما لمشاكلتها للفكرة المعبر عنها واستدعاء الموقف لها، وإما لتأثر بعض الشعراء بقراءاهم الكثيرة في الصحف.

ومن تلك الألفاظ والعبارات العامية التي وردت في شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق، لفظة (بدوري) في قول الشاعر محمد أمين يحيى [١٣٨] :

وقد بلوتُ –بدوري– النَّاسَ أكثرهم فلم يكن عند وقـعِ الرُّزءِ مُستنـدُ

وعبارة (بربك قل لي) عند الشاعر عثمان بن سيار [١٣٩] :

بِربِّكَ –قُلْ لي– أنتَ كيفَ وجدتَهُ   منيعاً فَسُقْتَ الغَــدْرَ أسْودَ عاتياً

ولفظــة (اختلاس) ، وعبــارة (مريض القلب) و (مشدود الحواسي) في قول الشاعر أحمد سالم باعطب (١٤٠) :

رأيتُ بني التُّرابِ عبيدَ مالٍ   ولو جمعوه من طُرقِ اختلاسِ
وكلٌّ فــتىً لجمــعِ المــالِ يَسْعى   مريضَ القلبِ مشــدودَ الحواسي

وهناك بعض الألفاظ والمصطلحات العلمية التي يكثر تداولها على ألسنة العامة فاكتسبت تلك الصفة ومنها لفظة (مقياس) كما في قول الشاعر محمد إبراهيم جدع (١٤١) :

وهــــــو أُسٌّ للتآخــــــي   وهــو مِقيــــاسُ الـــمــآثرْ

ومصطلــــــح (عقد النقص)كما في قول الشاعر محمد بن علي السنوسي(١٤٢):

يرفضُ القلبُ إذا كــان كبيرا   عُقدَ النَّقْــصِ سُلــوكاً وشُعورا

ثانياً : الموسيقى الشعرية

تعد الموسيقى عنصراً بارزاً وأساسياً في بناء النص الشعري، فهي ليست حلية خارجية تضاف إليه ، وليست مجرد أصوات تتردد فتطرب بذاتها، وإنما هي جزء لايتجزأ من العمل الشعري، وإحدى الأدوات التي يعتمد عليها الشعراء للتأثير في عالم المتلقي، لأن الموسيقى "هي التي تخلق الجو، .. وتوحي بالظلال الفكرية والعاطفية لكل معنى. وقد تكون تلك الظلال أكثر فاعلية في النفس من المعنى المجرد، بحيث يعتبر ضعف الموسيقى في الشعر إنقاصاً شديداً من قدرته على التعبير والإيحاء".(١٤٣)

والدارسون لهذا العنصر في الشعر يفرقون بين نوعين من الموسيقى في كل قصيدة شعرية :

١– موسيقى خارجية .

٢– موسيقى داخلية .

ولنتوقف أولاً عند الموسيقى الخارجية في الشعر الذي عرضنا له بالدراسة ، والتي تتمثل في الأوزان التي نظم عليها الشعراء، والقوافي التي بنوا عليها قصائدهم ومقطوعاتهم.

أ– الأوزان

نظم شعراؤنا شعرهم الذي دار حول مكارم الأخلاق على مجموعة من البحور والأوزان الشعرية (كاملة ومجزوءة) ، وهي حسب نسبة شيوعها : الخفيف ، والوافر، والطويل ، ومجزوء الكامل، والبسيط ، والسريع،

والرمل، والكامل، ومجزوء الرمل،والمتقارب، ومجزوء الوافر.

ومن خلال حصرنا للبحور والأوزان التي نظم عليها شعراؤنا شعرهم في مكارم الأخلاق، يتبين لنا أن الشعراء قد راوحوا في نظمهم بين الأوزان التقليدية ذات الإيقاع الرصين والنبرة الخطابية العالية ، كالطويل، والبسيط، والوافر، والكامل. وبين الأوزان ذات الإيقاع اللين، المنغومة النبر التي أكثر الشعراء المعاصرون من النظم عليها ، كالرمل والخفيف، ومجزوء الكامل،ومجزوء الوافر ، والسريع والمتقارب.

وأحسب أن تلك المراوحة من الشعراء بين الأوزان الشعرية التي نظموا عليها، وشيوع وزن على حساب الآخر، واختفاء بعض الأوزان من الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق، راجع في الأساس إلى طبيعة التجارب التي عاناها مبدعوها ، والعواطف والانفعالات التي سعوا إلى التعبير عنها وتجسيدها.

ب- القوافي

من خلال مراقبتنا للقوافي التي بنى عليها شعراؤنا قصائدهم ومقطوعاتهم نقف على غلبة القوافي الموحدة، وانحسار القوافي المتنوعة. ولعل السبب في ذلك راجع إلى كون أغلب الشعر الذي تناولناه بالدراسة عبارة عن رباعيات وخماسيات . والقصائد التي استقلت بموضوع أخلاقي واحد، تدور حوله من بدايتها إلى نهايتها جاءت قصيرة، تدور أبياتها حول حدث واحد، أو تسعى لإبراز موقف معين عاشه الشاعر، ولذلك لم يكن الشعراء -في معظم شعرهم- بحاجة إلى التنويع في قوافيهم، لأن تنويعهم في قصائدهم تلك سيقطع التسلسل النغمي، ويفسد -بذلك- الحدث الذي أرادوا التعبير عنه، أو تجسيده.

والقصيدتان اللتان تنوعت فيهما القافية، هما : قصيدة (في زورقي) [١٤٤] للشاعر عبدالله بن إدريس ، وقد جاء التنويع فيها تبعاً لتعدد الأفكار والمعاني التي حوتها ،وتجسيد مواقف الشاعر إزاء ما يحدث على مسرح الحياة.

والقصيدة الأخرى (الدودة الأخيرة) [١٤٥] للشاعر حسين سرحان ، وقد جاء التنويع لاعتماد الشاعر فيها على عنصر القص، مما جعل التنويع في القافية ملائماً لما حوته من تنوع في المواقف والأحداث، وتجسيد الصراع. ذلك لأن كل ضرب من تلك الضروب بحاجة إلى رنة موسيقية مختلفة، تختلف على أساسها القافية إطلاقاً وتقييداً ، ودرجة الانفعال ومقداره، ارتفاعاً وانخفاضاً ، امتداداً وانقباضاً .

وقد بنى شعراؤنا قصائدهم ومقطوعاتهم على خمسة عشر حرفاً بوصفها روياً والتفاوت بين تلك الحروف قلة وكثرة في الشعر الذي عرضنا له بالدراسة أمر ملحوظ . والحروف التي جاءت روياً حسب نسبة شيوعها هي: الراء، والنون ، واللام ، والباء ، والهمزة ، والميم ، والدال ، والياء، والقاف، والفاء ، والتاء، والسين، والعين، والضاد، والحاء . وهذه الحروف -باستثناء التاء والضاد - من الحروف الكثيرة والمتوسطة الشيوع في شعر الشعراء قديماً وحديثاً كما لاحظ ذلك الدكتور إبراهيم أنيس. [١٤٦]

وقد تجنب شعراؤنا في رويهم بعض الحروف مثل : الجيم، والخاء، والثاء، والذال، والزاي، والشين،

والصاد، والظاء ، والطاء، والغين، والكاف، والهاء، والواو. ولعلهم قد أدركوا بحسهم الموسيقى أن تلك الحروف ليس لها عطاءً موسيقياً ، وغير قادرة –بسبب جرسها الصوتي– على التأثير في أسماع الناس وشد انتباههم. وهي إلى جانب ذلك –باستثناء الجيم، والواو ، والثاء، والهاء – تدخل في نطاق القوافي النفر التي يقل استعمالها، والقوافي الحوش التي لاتكاد تستعمل.(١٤٧)

٢– الموسيقى الداخلية :

من قراءاتنا للنصوص التي دارت حول مكارم الأخلاق في الشعر السعودي، نلاحظ أن اهتمام الشعراء بالموسيقى الداخلية لايقل عن اهتمامهم بالموسيقى الخارجية .

ونحن نقصد بالموسيقى الداخلية في دراستنا "النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة، بين وقع الكلام والحالة النفسية للشاعر، إنها مزاوجة تامة بين المعنى والشكل، بين الشاعر والمتلقي". (١٤٨)

والمتأمل في النصوص الشعرية التي عرضنا لها يقف على تفاعل الموسيقى الداخلية عند بعض الشعراء مع بقية عناصر التجربة، من فكر، وخيال، وعاطفة، فهي في شعرهم "تصاحب باستمرار الشعور المعبر عنه وتساير جيشانه، وتحكي درجته ومقداره. فإذا زاد الانفعال وكان حادّاً ارتفعت النبرة، وتداخلت وتعقدت، وإذا هدأ الانفعال ومال إلى التأمل هدأت النبرة، وخفّت حدتهاوانبسطت..". (١٤٩)

وتأتي الألفاظ التي يعتمد عليها الشعراء في مقدمة المكونات لتلك الموسيقى الخفية، فاللفظ في بنيته الصوتية ودلالته المعنوية له أهمية كبرى في بناء الموسيقى الشعرية.

وأكثر ما تتمثل تلك الموسيقى في وضع الحروف في الكلمة، وتنوعها من حيث الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة، والانطباق والانفتاح ، والعلو والانخفاض .

ومن النماذج التي يمكن سوقها للوقوف على وجود الموسيقى الداخلية في إسهامات شعرائنا في المجال الأخلاقي، وتفاعلها مع بقية العناصر في تجسيد التجربة التي عاناها المبدع، وتصوير الانفعالات المصاحبة لها، ما جاء في قول الشاعر محمد حسن فقي (١٥٠) :

سيأتي زمانٌ تَشْتَهي فيه لهفتي ... عليكَ فما تلقى سوى غيرِ لاهفِ
لقد مرَّ حينٌ والصَّوارفُ تنتحي ... عليَّ فلم تحفلْ بتلكَ الصوارفِ
وقد كنتَ تلقى من نداءيَ عوارفاً ... فلمْ يلقَ بؤسي منكَ بعضَ العوارفِ
وأذهلني منكَ العقوقُ ورابني ... من الودِّ ما أوليتهُ للزَّعانفِ
وما كنتُ أدري أن أمسي الذي مضى ... سيرمي غدي الآتي بشتَّى القذائفِ
لقد كان رهواً بالمودَّةِ فاغتدى ... وقد زلزلتني منه هُوجُ العواصفِ

فالأبيات التي أمامنا تجسد معاناة الشاعر وأحزانه العميقة المترسبة في ذاته من جراء موقف صديقه السَّيئ

منه، وتنكره له في وقت كان في أمس الحاجة إليه.

وقد وفق الشاعر كثيراً في التعبير عن فجيعته تلك ، وعن الحالة النفسية التي تملكته من هولها، حتى إنه استطاع أن يجعلنا نرى الأسى وهو يخط رسومه على سحنة وجهه، ونبصر خطاه المجهدة، ونحس زفراته الحرّى وهي تتصعَّد من قعر روحه ، ونسمع حشرجات أنفاسه المكلومة .

وأول ما وفق فيه الشاعر هو اختياره لمجموعة من الألفاظ القادرة على تجسيد معاناته والإيحاء بأبعادها المختلفة. فالألفاظ : (زمان، لاهف، الصوارف، رابني، العوارف، الزعانف، القذائف، العواصف) طويلة المقاطع الصوتية، تحتاج إلى جهد مضاعف ومسافة زمنية غير يسيرة ساعة النطق بها، وهذا يجسد وقع الفاجعة الشديدة التي ألَّمت به، والتي أفقدته القدرة على الإبانة والإفصاح –بسرعة– عما يعتلج في صدره، ويجوب في وجدانه. وهي إلى جانب ذلك حافلة بأصوات المد التي ساعدت على تبطئة الإيقاع وهدوءه الملائم جداً لتجربة الشاعر التي عاناها.

أضف إلى ذلك أن الشاعر قد وفق كثيراً في تكرار بعض الأصوات القادرة على تجسيد معاناته والإيحاء بصعوبتها، وذلك مثل صوت (الهمزة) الذي تكرر (عشر مرات)، وهو حرف يشعر المتكلم ساعة النطق به بصعوبة لخروجه من أقصى الحلق. وهناك الأصوات الرخوة اللينة التي ساعدت على سريان الهدوء وتفشيه في تلك الأبيات، والتعبير عن الحالة التي تلبست الشاعر، حيث تكرر صوت الفاء (خمسة عشر مرة) ، وصوت الهاء تكرر (ثماني مرات) ، والعين تكرر (ثماني مرات) ، والسين تكرر (خمس مرات) والزَّاي تكرر (خمس مرات) ، والذال تكرر (ثلاث مرات) ، والحاء تكرر (ثلاث مرات) والصاد تكرر (ثلاث مرات) ، والشين تكرر (مرتين).

ويوحي تكرار الشاعر لصوت الميم (ستة عشر مرة) والنون (ثلاثة عشر مرة) ، وشيوع حركة الكسرة في الأبيات السابقة خاصة في حرف الروي ، بالألم والحسرة والانكسار .

وقد توافرت الأبيات السابقة على مظهر آخر من مظاهر الموسيقى الداخلية، وهو ما يسمى برد الأعجاز على الصدور، وقـــد بـــدا ذلك واضـــحاً وجـــلياً فـــي الأبيات الثلاثة الأول. ففي نهاية الشطر من البيت الأول جاءت كلمة (لهفتي)، وفي عجز البيت جاءت كلمة (لاهف)، وفي الشطر الأول من البيت الثاني جاءت كلمة (الصوارف)، وجاءت كذلك في عجز البيت نفسه، وفي الشطر الأول من البيت الثاني جاءت كلمة (عوارفاً)، وجاءت كلمة (العوارف) في عجز البيت، وقد أحدث ذلك نوعاً من الرنين الموسيقى، وهذا يؤثر في أذن المتلقي "لأن ترجيع الألفاظ المتشابهة تدق الأسماع وتوقظ الأذهان".(١٥١)

وبالإضافة إلى تلك المظاهر التي وقفنا عليها في النموذج السابق، هناك مظاهر أخرى أضفت على الأبيات التي احتوت عليها موسيقى عذبة تطرب لها الأذن، وتأنس لها النفس.

ومن ذلك تكرار الشعراء بعض الكلمات أو الجمل في ثنايا شعرهم، ومن شأن تلك الكلمات المكررة أن

تحدث أثراً موسيقياً في شعرهم، بالإضافة إلى تأكيد المعنى أو الفكرة التي تدور حولها الكلمة المكررة ، حتى ترسخ في الذهن.

ومن نماذج التكرار التي وردت عند شعرائنا، ما جاء في قول الشاعر محمد عبدالقادر فقيه (١٥٢) :

مَبْدَئي مَبْدَئي مماتِيَ ومحيا … يَ وبعثي على سناهُ المنيرِ

فتكرار الشاعر لكلمة (مبدئي) ذات الجرس القوي الرنَّان مرتين أحدث الأثر الموسيقى الذي أراده الشاعر، وهو تنبيه المتلقي وتوجيهه لسماع ما سيأتي بعدها، كما مهدت للمعنى العام الذي دارت حوله أبيات الشاعر.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قول الشاعر إبراهيم فوده (١٥٣) :

غيرُ مجد –ياصاح– أنْ تجمعَ الما … لَ على حُبِّه رُكاماً رُكاما

قيمةُ المالِ حينَ تَسْتعمِلُ الما … لَ وإلاَّ فقد جَمَعْتَ الرُّغاما

فالشاعر في هذين البيتين كرر كلمة (المال) ثلاث مرات، وكلمة (ركاما) مرتين. وقد أثرى التكرار البيتين من الناحية الموسيقية، كماأسهم في تأكيد المعنى الذي رمى إليه الشاعر.

ويكرر الشاعر محمد سعيد العامودي جملة (حارس المال) لتنبيه المتلقي، وتهيئة سمعه لما يود طرحه عليه (١٥٤) :

حارسَ المالِ أيُّ جدوى من الما … لِ إذا لم يكنْ هناكَ ضميرُ ؟

حارسَ المالِ لستَ مالكَه..بل … أنتَ مملوكُه وأنتَ الأسيرُ

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية حرص بعض الشعراء في شعرهم على التصريع وهو"ماكانت عروض البيت فيه تابعة لضربة: تنقص بنقصه وتزيد بزيادته" (١٥٥)

وقد أشار الأستاذ علي الجندي إلى أهمية التصريع وقيمته الموسيقية ، يظهر ذلك في قوله : "والتصريع – في حقيقته – ليس إلاّ ضرباً من الموازنة والتعادل بين العروض والضرب ، يتولد منها جرس موسيقى رخيم.." (١٥٦)

ومنه ما جاء في قول الشاعر عثمان بن سيار (١٥٧) :

حَسِبْتُكَ إذ أصْفيتُكَ الحُبَّ صافياً … فما كنتَ إلا الذِّئبَ أغبرَ طاوِيا

وقول الشاعر صالح العثيمين (١٥٨) :

عَهِدتُكَ في الحياةِ أخاً وفياً … وشِمْتُكَ في الدُّنا خلاًّ رضيا

وتأتي التقفية الداخلية كمظهر من مظاهر اهتمام شعرائنا بموسيقاهم الداخلية، نقف على ذلك عند الشاعر حسين سرحان في قوله (١٥٩):

قـــلْ لمـــن شـــاءَ في الحيـــاةِ فخـــارا أنـــت ليـــلٌ فكيـــف ترجـــو النَّهـــارا ؟
كـــنْ غنيـــاً فقـــد ولـــدتَ فقـــيراً لا شِـــعاراً تزهـــو بـــه أو دِثـــارا
وعظيماً فقـــد أتيـــتَ حقـــيراً أو عزيزاً فقـــد شبـــعتَ صَغارا

فالقافية الداخلية في هذه الأبيات تتمثل في مشاكلة الشاعر بين الكلمتين الأخيرتين في كل بيت من أبياته السابقة، ولم يكتف بذلك لإحداث تلك الموسيقى التي تطرب لها النفس وتأنس ، "بل عززها بالطباق بين هذه الكلمات، "ليل" و "نهار" و "غني" و "فقير" و "عظيم" و "حقير" و "عزيز" و "صغير" ، كما يلاحظ تجانس "فقير" و "حقير" ووجود مدة الكسر في مقابل مدة الفتح في نهاية كل شطر من البيتين : الثاني ، والثالث ، وكذلك وجود عبارات : "فقد ولدت" فقد أتيت "فقد شبعت" بين الكلمات المتطابقة.. وكل هذه الأمور أحدثت إيقاعاً موسيقياً مناسباً". (١٦٠)

ثالثاً : الصورة الشعرية

تعد الصورة من أهم العناصر الفاعلة في بناء النص الشعري ، وذلك لأن الشاعر يستطيع بواسطة الصورة أن "يشكل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود وللعلاقات الخفية بين عناصره". [١٦١]

والشاعر عندما يعتمد على التصوير في بنائه الشعري فإنه يسعى من وراء ذلك إلى التأثير في وجدان المتلقي، وحمله على التفاعل معه فيما يلقيه عليه سلباً أو إيجاباً. والصورة بناءً على ذلك "ليست زينة شكلية ، أو حلية مصطنعة، وإنما أداة أساسية لتوصيل الخبرة والتعبير عن الرؤية". [١٦٢]

ونعني بالصورة في هذه الدراسة "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد ، والمقابلة والتجانس، وغيرها من وسائل التعبير، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية". [١٦٣]

وللخيال دور بارز في تشكيل الصورة الشعرية ، فهو الذي "يلتقطها ببراعة من مشاهدات الواقع، وملابسات الحياة اليومية ، أو يرتفع بها عن الحوادث العادية فيستمدها من مناظر الطبيعة ، ومهابط الجمال الرقيقة، ويمزج بين عناصرها المختلفة فتجيء خلقاً جديداً يختلف في طبيعته وخواصه عن العناصر الأولية التي تألف منها " [١٦٤]

ولو عدنا بعد هذه الإشارة إلى مفهوم الصورة ، وأهميتها في البناء الشعري ودور الخيال الفاعل في خلقها ، إلى الصورة الشعرية التي استعان بها الشعراء في دعوهم إلى مكارم الأخلاق، لوقفنا على صور عديدة حاول الشعراء بواسطتها تشكيل أحاسيسهم وتجسيد أفكارهم. وقد تنوَّعت تلك الصور ما بين صور جزئية بسيطة تبرز فكرة محددة ، أو تقدم موقفاً معيناً عاشه الشاعر وتفاعل معه، إلى صور كلية تتكون من مجموعة من الصور الجزئية البسيطة تتظاهر مع بعضها لتكون– في نهاية المطاف– الصورة الكبرى أو اللوحة الكلية.

والناظر في تلك الصور يقف على اعتماد الشعراء –كثيراً– في تشكيلها وبنائها على التجسيم ، وأحسب أن ذلك راجع إلى طبيعة الموضوعات التي تناولوها في شعرهم وعبروا عنها.

ومن نماذج صورهم الجزئية ما جاء في قول الشاعر علي زين العابدين [١٦٥]:

إنَّ نَفْساً على الكرامةِ شبَّتْ سوفَ تبقى كالْجَوْهرِ الّلألاءِ
ليس يعرُو الصداءُ معدِنَها الزَّا كي .. وتنبو عن زائغاتِ الطِّلاءِ

فالنفس التي تشب على الكرامة، وتتفيأ ظلالها الوارفة ، وتأبى الخنوع والذل تبقى –دائماً – على ما فطرت عليه، محتفظة ببريقها وجمالها ورفعتها وقيمتها الغالية في عيون الناس. وهذه فكرة معنوية، أراد الشاعر أن يقربها للأذهان فعمد إلى تجسيمها في صورة حسية تدركها العين والعقل معاً، وهي صورة الجوهر المتلألئ الذي يظل محتفظاً بجماله وقيمته الغالية مهما تقادم به العهد، بل كلما طال به العمر وتقادم به العهد زاده ذلك عشقاً وغلاءً وطلباً من المفتونين باقتناء الأشياء الثمينة، والمحافظة عليها، والمباهاة بها .

والشاعر يرمي من وراء صورته تلك إلى تجميل خلق علو الهمة وما ينبثق عنه من مظاهر، تحافظ على الإنسان المتخلق بها، وتباعد بينه وبين كل ما من شأنه أن يحط بمترلته ومكانته في المحيط الذي يعيش فيه، في زمن اختلت فيه الموازين ، وتغيرت المعايير التي يعرف بها أهل الفضل والمترلة، وتعددت وتنوعت فيه الإغراءات التي يسيل لها لعاب كل نفس لم تتخذ الكرامة والإباء والأنفة شرعة لها ومنها جا .

ونقف عند الشاعر أحمد سالم باعطب على صورة تجسيمية في قوله مخاطباً زوجته (١٦٦) :

ذريـــــني للــــــهمومِ وللمآســـــــي أعـــالجُ بالتَّصـــبُّرِ مـــــــا أُقاســـي
وأطفـــئُ بـــالقناعـــــةِ نـــــارَ حقـــــدٍ تكبـــَّد حرَّهــــا كـــــمْ مـــن أناســي

فالصبر والقناعة معنيان مجردان إلاّ أن الشاعر قد حولهما عن طريق التجسيم إلى أشياء مادية محسوسة تدركها العين ، ويعيها الذهن. فجعل الصبر شيئاً محسوساً بإمكان الإنسان التطبب والتداوي به ، سواء عن طريق الفم أو بقية أعضاء الجسد ، فيخفف عنه ما يقاسيه من هموم وآلام. وقدم القناعة –وهي معنى– في صورة الماء الذي يراق على النار فيطفئها مهما كانت عظيمة.

والصورتان السابقتان قامتا بتحسين كل من الصبر والقناعة، وبينتا ووضحتا قيمتهما في عالم المتحلي بهما، ودورهما الفاعل في تخليصه من الكثير من الأدواء والعلل التي من شأنها إلحاق الضرر بمن كانت فيه.

ومـــن الصـــور الجزئيـــة الرائعـــة التي اعتمـــد فيـــها الشعـــراء علـــى التجسيـــم، مـــا جـــاء في قول الشاعر محمد حسن فقي (١٦٧) :

أيا ذا الـــذي يختـــالُ مـــا أســـوأَ النُّهـــى إذا حَســـــبتْ أمجادَهــــا في المتـــــارفِ
عَرَفْتُـــــكَ بـــــالأمسِ المزايـــــلِ مُتْربـــــاً تـــروغُ هوانـــاً مـــن عُيـــونِ المعـــارفِ
فمالك تبدو اليـــومَ من بعد حطَّةٍ كدركٍ تظنَّى نفسهُ في المشارفِ

ففي البيت الأخير صورة جزئية اعتمد الشاعر فيها على التجسيم ، فالإنسان الوضيع الفاقد لكل الصفات التي تجعله يبدو في عيون الناس كبيراً، سيظل كما هو حتى لو صوّرت له نفسه أنه قد بلغ المجد بمجرد حيازته قدراً كبيراً من المال. وهذه الفكرة التي طرحها الشاعر بحاجة إلى تقريبها من ذهن المتلقي ، حتى يستوعبها، ويشارك

الشاعر الإيمان بتلك الفكرة، أو يخالفه فيها. ولذلك عمد الشاعر إلى تقديم ما يؤكد ما ذهب إليه، فاستحضر صورة (الدرك) وهو الأسفل من كل شيء، لأنه لايمكن أن يكون عالياً ومرتفعاً مهما بعد عن سطح الأرض، إذ العلو ملازم لكل ما جاء فوق الدرك. وهكذا الحال بالنسبة للإنسان الذي يحاول عبثاً تغيير نظرة الناس إليه من خلال ظهوره بذلك المظهر الشاذ بعد تبدل أحواله وتغيرها، لأن مكانته وصورته المرسومة في أحداق الناس المحيطين به لم تتبدل وإن ظن هو غير ذلك.

وقد نجح الشاعر من خلال تشبيهه ذلك الإنسان المتعجرف بالدرك ، في إقناع المتلقي بفكرته، وفي الوقت ذاته استطاع أن ينفر من داء الكبر والغرور ، لأن الإنسان الذي ينسلخ عن جلده، ويبالغ في التمرد على ماضيه، بمجرد حصوله على قدر من المال ، أو وصوله إلى أحد المناصب القيادية ، هو إنسان مريض يحاول بتعاليه حجب النقص الذي يحسه ، ولن يبرح –مهما صنع– مكانه الذي خال أنه فارقه إلى غير رجعة.

ومن الشعراء من تجاوز تجسيم المعنويات إلى تشخيصها ، وذلك بإلباسها ثوب الحياة الإنسانية ، وجعلها تتصرف كما يتصرف الناس في حياتهم اليومية، ومن نماذج ذلك ما جاء في قول الشاعر إبراهيم هاشم فلاّلي (١٦٨):

ولكـــــنَّ الكرامـــــــةَ عـــــــاتبتني وقالـــــت لي –بربِّـــــكَ– لاتهَنِّـــــي
سمعتُ مقـــالَها وصحـــبتُ عَزْمي   وعَزْمي في الحـــوادثِ لم يخنِّي

فالكرامة معنى من المعاني ، إلاَّ أن الشاعر أصبغ عليها ثوب الحياة الإنسانية، فجعلها تتحدث، وتعاتب مثلها مثل الإنسان . والعزم كذلك معنىً من المعاني إلا أن الشاعر أصبغ عليه ثوب الإنسانية ، فجعله صاحباً وفياً مخلصاً، لايعرف الخيانة ولم يمتهنها مطلقاً .

وهاتان الصورتان من شأنهما حمل المتلقي على الاعتداد بالقيم والمبادئ الأخلاقية الرفيعة وعدم التفريط فيها ، لإسهامها القوي في الحيلولة بين من كانت فيه وبين الأمور التي قد تحط من قدره ومترلته في المجتمع بأسره.

وإلى جانب تلك الصور الجزئية التي حفل بها الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق، حاول بعض الشعراء أن تكون مقطوعاتهم أو قصائدهم عبارة عن صورة كلية، بحيث لايمكن الاستغناء بصورة عن أخرى، وإنما تتضافر الصور الجزئية فيها، ويأخذ بعضها برقاب بعض ، لتكون الصورة الكبرى أو اللوحة الكلية التي أرادها الشاعر .

ومن نماذج ذلك ما جاء في قول الشاعر حسين عرب (١٦٩) :

هتفـــتْ بي أَقْبِـــلْ فأقبلـــتُ والنَّشْـــ ـــــوةُ شـــوقٌ يثـــورُ مـــن وجـــداني
قالتِ النَّفسُ : قد ظَفِـرتَ وقـال الــ قلـــبُ : هــــذي مغـــامزُ الشَّـــيطانِ
وتحيَّـــرتُ بيــــن قلــبي ونفـــســـي لحظـــةً بعدهـــــا عصــيتُ جنانـــي

فالشاعر في هذه الأبيات نسج لنا مجموعة من الصور الجزئية تتآلف مع بعضها لتعطينا في نهاية المطاف صورة كلية مركبة تركيباً فنياً، تجسد الموقف الذي عاشه الشاعر بأبعاده المختلفة ، وتضعنا وجهاً لوجه أمام ذلك الصراع الذي احتدم في عالمه في لحظة من لحظات حياته ، بين نفسه المثقلة باللهفة والشوق العارم ، وعقله الواعي الرزين.

ففي البيت الأول نجد صورة فاتنته وهي تهتف ناشدة إقباله عليها، وصورة تلبيته لدعوتها ممتطياً صهوة شوقه الثائر . وفي البيت الثاني نسمع حديث النفس الفرحة بتحقق حلمها، وحديث القلب المتوجس خيفة والحذر من مكر الشيطان وخبثه، وفي البيت الثالث تطالعنا صورة الحيرة التي عاشها بين نفسه وعقله ، وصورة تمرده على نفسه وعصيانه لها بعد أن أصغى لصوت العقل.

ومما زاد من أثر تلك الصورة في النفوس استخدام الشاعر للأفعال : (هتفت، أقبلت، يثور ، تحيرت ، ظفرت..)، والأسماء : (وجدان ، قلب ، الشيطان، نفسي ، جناني). وذلك لتظاهر الأسماء السابقة والأفعال – لما بينهما من علاقة حميمة– في إطلاعنا على عالم الشاعر الوجداني، وجلاء موقفه من الصراع الذي عاشه، بالإضافة إلى كون بعض الأسماء المستخدمة مشحونة بظلال من المعاني التي اكتسبتها من استعمالاتها على مدى تاريخنا الديني والأدبي، وذلك مثل: (النفس، الشيطان، القلب).

وقد جاءت تلك اللوحة الفنية نابضة بالحركة ، غنيّة بالإيحاء، ولعل ذلك راجع لاعتماد الشاعر على مجموعة من الألفاظ الدالة على الحركـــة، وذلـــك مثل: (هتفـــت، أقبلـــتُ ، يثـــور ..) وإلى طائفة من التعابير الموحية، مـــن مثل: (فأقبلت والنشوة شوق يثور من وجداني) فهذا التعبير يوحي بمدى تمكن عشق تلك الفتاة من وجدانه، واستفحال الرغبة الجامحة لممارسة أي لون من ألوان الحب معها. وفي قوله: (مغامز الشيطان) إيحاء بالفتنة والغواية التي بدأت تفوح رائحتها في مسرح الأحداث، وباستعادته لصوابه الذي فقده من هول المفاجأة تدريجياً . وفي قوله : (فتحيرت بين عقلي ونفسي) إيحاء بالصراع المحتدم في عالم الشاعر. وفي قوله (لحظة) إيحاء بقوة الوازع الديني والأخلاقي لدى الشاعر ، لأن اللحظة أقصر في الناحية الزمنية مـــن لفظـــة (بـــرهة) لـــو قالهـــا. وفي قوله: (عصيت جناني) إيحاء بقوة الشاعر التي مكنته من قهر نفسه الأمَّارة بالسوء وتحجيم رغباتها، وفي الوقت ذاته يدل دلالة قطعية على علو همَّة الشاعر.

ومن نماذج التصوير الكلي قصيدة الشاعر عبدالكريم الجهيمان (الفتاة اللعوب) التي يقول فيها (١٧٠):

ماسَـــــتْ بقـــــدٍّ كلُّـــــهُ فِتنـــــةٌ   وأقبلـــــتْ في حُســـــنها الفـــــائقِ
قـــد سَـــترتْ مـــن جســـمِها نِصـــفَهْ   ونِصـــفُهُ تُبـــديـــه للوامِـــقِ (١٧١)
وازَّيَنَـــــتْ بـــــالحُلْي في جِيـــــدِها   واطَّـــيَّـــبَتْ بالعنبـــــرِ العـــــابِقِ
ولَبِســـتْ مـــا كـــانَ عـــن جســـمِها   يشـــفُّ عـــن ســـاقيهِ والعـــاتقِ

فاســـــتلفتتْ أنظـــــارَ مــــن حولِهــــا بالسِّـــــحرِ في منظرِهــــا الرَّائــــقِ
وأجفَلَـــــتْ هاربـــــةً عنـــــهمُو فأمْعنُـــــوا فـــــي أثـــــرِ الآبـــقِ [١٧٢]
ثم انثَنَـــــتْ تُســـــقيهموا درَّهــــا مــــن ثغرِهــــا المعـــذوذِبِ الرائـــقِ
فاستعبدَهـــم بـــأفاويقِـــها عـــن طاعـــةِ المخلـــوقِ للخـــالقِ

فنحن هنا بإزاء صورة كلية للفتاة اللعوب (الدنيا) مكونة من صور جزئية عديدة لايمكن الاستغناء بإحداها عن الأخرى، وإنما تتظاهر مع بعضها لتكون الصورة الكلية التي سعى الشاعر إلى تجسيدها، رامزاً بها للحياة الدنيا واغترار الناس بها.

والصورة الكلية السابقة نابضة بالحركة والحياة، فهي تعرض في لوحات فنية أنيقة تلك الفتاة وهي مقبلة على الناس بقدها المياس، وحسنها الذي يخلب الألباب، حتى أننا نكاد نرى منظر الحلي وهو يطوق عنقها الطويل، ونستاف تلك الروائح العطرية التي تضوع من جسدها اللدن، وتعترينا الدهشة من فتنتها التي بالغت ملابسها العارية في تجسيمها وإظهارها للعيان ، ونرى الناس المأخوذين بجمالها وهم في سباق محموم أيهم يلفت نظرها ، ويظفر بقلبها وكل ذلك الجمال الأخاذ، بينما هي تلهو بهم ، وتتلذذ بمعاناتهم، وتضحك من سخفهم.

وقد توافر في الصورة الكلية التي رسمها لنا الشاعر –إلى جانب عنصر الحركة– الصوت، واللون ، والرائحة ، والطعم، مما يدل على اشتراك جميع حواس الشاعر في تقديم تلك الصورة .

فالصوت يتمثل في : وقع أقدام الفتاة والمفتونين بها في حالة إقبالها عليهم أو إدبارها عنهم، وفي صوت الحلي وهي تصطك مع بعضها أثناء جريها.

ويبدو اللون في : لون الحلي التي ترتديها وهو اللون الذهبي، وفي لون بشرتها النقية الصافية، وهو اللون الأبيض، وفي الأقحوان المنضد في ثغرها، وهو اللون الأبيض ، وكذلك يبدو اللون في الزي الذي خرجت به على الناس.

أما الرائحة فتتمثل في : العنبر الذي يفوح من جسدها ولباسها. ويبدو الطعم في ريقها العذب الذي أسكرت به كل من ذاقه من اللاهثين خلفها.

والمتأمل في الصور الشعرية التي حفل بها الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق يقف على تعدد مصادرها ، ويمكننا تقسيم المصادر التي اعتمد عليها الشعراء في تشكيل أحاسيسهم ومشاعرهم، وتجسيد مواقفهم في الحياة ورؤاهم، إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، هي :

١– مصادر ثقافية

٢– مصادر طبيعية

٣- الحياة اليومية ، وشؤون الحياة العامة .

١- المصادر الثقافية :

كان لثقافة شعرائنا التي حصلوها بقراءاتهم المختلفة ، ورحلاتهم السياحية في آفاق المعمورة ، أثر واضح في عدد من صورهم الشعرية، فمن تلك الصور ماهو مستمد من القرآن الكريم، ومنها ماهو مستمد من التراث العربي: شعراً ، وقصصاً، وشخصيات. ومنها ماهو مستمد من مشاهدات الشعراء في رحلاتهم السياحية في أقطار العالم.

ومن نماذج استمدادهم من القرآن الكريم، ما جاء في قول الشاعر إبراهيم علاف محذراً من عاقبة كنز البخلاء لأموالهم وعدم الإنفاق منها على أوجه البر والخير المشرعة الأبواب (١٧٣) :

سَتُطوَّقونَ بمـا بَخِلتُـم فاتَّقُـوا نُـذُرَ الإلهِ وشَـذِّبوا الأرقامـا

فصورة "ستطوقون بما بخلتم" تستدعي الصورة القرآنية التي حوتها الآية الكريمة : ﴿ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم. بل هو شرٌّ لهم سيُطوقونَ ما بخلوا بهِ يومَ القيامةِ ولله ميراثُ السمواتِ والأرضِ والله بما تعملونَ خبيرْ ﴾ {آل عمران ١٨٠}

وفي تصوير الشاعر محمود عارف للنمام الذي حاول التفريق بينه وبين صديقه عن طريق الدس والكذب، حيث يقول (١٧٤) :

لاتُصـدِّقْ مـا قالـهُ مُسْـتَخِسٌّ كـالحُ الوَجْـهِ في الحيـاةِ زنـيمُ
قال عنـي : والقـولُ منه افتراءٌ هو مستكـبرٌ عـتيٌّ ظَـلومُ

فالصور المتوافرة في هذين البيتين تستدعي عدداً من الصور القرآنية وفي موضوعات مختلفة. فالصور التي احتوى عليها الشطر الثاني من البيت الأول مستمدة من قوله تعالى : ﴿تلفحُ وجوههمُ النَّارُ وهمْ فيها كالحون ﴾ {المؤمنون ١٠٤} وقوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بعدَ ذلك زَنيمٍ﴾ {القلم ١٣} وقوله تعالى: ﴿وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيراً ﴾ {الفرقان ٢١} وقوله تعالى: ﴿.. إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ {إبراهيم ٣٤}.

وللتراث العربي – شعراً وشخصيات وأحداث– صدىً في صور بعض شعرائنا الذين عرضنا لهم في هذه الدراسة. ومن نماذج ذلك ما جاء في قول الشاعر عبدالقدوس الأنصاري مفتخراً بكرمه (١٧٥) :

فكأنِّي حـاتِـمٌ فـي قوْمِـهِ أصرفُ الأموالَ في وجهٍ قمينْ

ففي البيت إشارة إلى (حاتم الطائي) المعروف بكرمه وجوده الذي سمع به القاصي والداني، وتناقلته كتب الأدب والتاريخ.

ويستمد الشاعر محمد حسن فقي في تصويره لتفاهة أحد المتكبرين ، وبيان قيمته ومقداره عنده إحدى الصور التراثية التي تكررت في أشعار القدماء، وهي صورة (حشرة الحباحب) ، يظهر ذلك في قوله (١٧٦) :

لستَ عندي وما اكْتَسبْتَ رخيصاً　　من حُطــامٍ إلا كنارِ الحُباحِـــبْ

وفي تصوير الشاعر صالح العثيمين لخيانة صديقه له وغدره به ، نجده يستعين بصورة تراثية (قلبت لي المجن)، والتي تكررت كثيراً لدى شعرائنا القدماء في المعنى نفسه، حيث يقول (١٧٧) :

قَلبتَ لي المِجَنَّ وصِرتَ أفعى　　تعُضُّ بنــابهــا التِّــربَ الوَفيــا

وصورة (السيف) التي حفل بها الشعر العربي القديم لتدل على معاني القوة والعزة والمنعة، نجدها عند الشاعر علي زين العابدين، في قوله مفتخراً بنفسه وما حققه في حياته (١٧٨)

قد كــانَ لــي عــزمُ السُّيو　　فِ ..وهِمَّــةٌ تــرمــي شَرَرْ

ومن المصادر الثقافية ما استوعبته ذاكرة الشعراء من صور ومشاهد أثناء رحلاتهم السياحية في أقطار المعمورة. ولعل خير نموذج يمثل هذا المصدر ، ما جاء في قول الشاعر علي زين العابدين واصفاً ما شاهده في إحدى الملاهي الباريسية (١٧٩) :

أُنثـــــى تـــــذوبُ صـــــبابةً　　وفـــــتىً يحرِّكُـــــه الفُتـــــون

وتمـــــــازجَ الجنســـــــانِ في　　شـــــغفٍ تســـــوءُ بـــــه الظُّنـــــونْ

واستيقــظَ الشَّـــيــطانُ ينْـــــ　　ـــفثُ سُمَّـــهُ فـــي الحاضرين

ثانياً : مصادر طبيعية

تعد الطبيعة بنوعيها –الساكنة والمتحركة – أحد المصادر التي استعان بها الشعراء للتعبير عن أفكارهم، وتجسيد رؤاهم في الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق.

ومن الصور التي استمدها شعراؤنا من الطبيعة المتحركة ، صورة (النسر) التي توحي بالرفعة والشموخ،وصورة (الجندب) التي توحي بالضعة والهوان. نقف على هاتين الصورتين عند الشاعر محمد حسن فقي ، في قوله مفضلاً نفسه، ومعتزاً بها على الإنسان الذي ظن أنه بالمال الذي حصَّله قد بزَّ الناس من حوله، وارتقى سُلم المجد (١٨٠):

مـــا يضيـــقُ النَّســـرُ المحلِّقُ ذُرعاً　　وهو فـــي جَـــوِّهِ بصوتِ الجنادبْ

ويستدعي الشاعر عثمان بن سيار صورة (الذئب) التي توحي بالوحشة والخِسَّة والغدر، في تصويره لخداع صديقه له، وغدره به (١٨١) :

حَسِبْتُكَ إذْ أصفيتُك الحُبَّ صافياً　　فما كنتَ إلاَّ الذِّئْبَ أغبـــرَ طاويا

ويستدعي الشاعر صالح العثيمين في المعنى ذاته صورة (الأفعي) التي ترمز للغدر والخداع، حيث يقول [١٨٢] :

قلبتَ لي المِجَـــــنَّ وصِرتَ أفعى تعُضُّ بنـــابِها التِّــرْبَ الــوفيا

وفي تصوير الشاعر إبراهيم خليل علاف لانتفاخ أحد المتعجرفين المغرورين يستمد صورة (الأوزة) على سبيل الهزء والسخرية [١٨٣] :

كمثـــلِ أوزَّةٍ مُلِــئَــــــــتْ غـــروراً فيــــه تَجْـتــــــرُّ

ومن الصور التي استمدها الشعراء من الطبيعة الساكنة ، صورة الطود (الجبل) التي توحي بالصمود والثبات وقوة الاحتمال، وصورة (الأعاصير) التي توحي بالفتك والدمار. نقف على هاتين الصورتين في قول الشاعر محمد عبدالقادر فقيه مفتخراً بصموده وثباته على المبادئ التي يؤمن بها رغم الصعوبات التي تواجهه في حياته [١٨٤]:

عشتُ كالطَّودِ هازِئاً بالأعاصيــ ــرِ أبياً على الخَنــى والفُجورِ

ويستدعى الشاعر نفسه صورة (السنا) الذي يهتدي به السارون في مهامه الحياة ودروبها المتشعبة، في تصويره لأثر المبــادئ والقيــم الأخلاقية التي تزدحم بها روحه في توجيهه إلى ما يحقق له السمو والرفعة في حياته [١٨٥]:

مَبْدئي مَبْــدئي.. مــماتــي ومحيا يَ وبعثــي على سنــاهُ المنــــيرِ

وفي تصوير الشاعر علي حافظ لمكانة الإنسان المتصف بالتواضـــع في عيـــون الناس ووجدانهم، يستدعي صورة (الجوزاء) التي توحي بالعلو والرفعة، يظهر ذلك في قوله [١٨٦] :

ومن تواضعَ فالجوزاءُ موطِنُهُ وفي التَّكَــبُّرِ أحقــادٌ وأضغــانُ

وفي تصوير السنوسي لأخلاق الإنسان الذي اتخذ التواضع منهجاً له في الحياة يستدعي صورة (البحر) الذي يوحي بمعاني كثيرة، من أهمها هنا : الصفاء، والسعة، والخير. وصورة (الروض) حيث الجمال، والروائح العطرية الزكية، حيث يقول [١٨٧] :

هـــو كالبحــرِ جــلالاً رائِعــاً وهو كالــرَّوضِ زُهــوراً وعَبيرا

ثالثاً : شئون الحياة العامة والحياة اليومية

تعد الحياة العامة واليومية ميداناً رحباً ، ومصدراً خصباً للصورة الشعرية عند شعرائنا، بل هي أكثر المصادر حضوراً في صور شعرائنا في دعوقم إلى مكارم الأخلاق. ولعل ذلك راجع لعلاقة الموضوعات والقضايا التي تناولوها بالواقع الاجتماعي الذي يعيشونه.

وهذا المصدر يحصله الشاعر من مشاهداته في واقعه الاجتماعي وغوصه فيه، فهو لايحتاج إلى تعلم أو دراسة، فكل الأحداث التي يراها أو يسمع عنها هي في متناوله، يعمل فيها فكره وخياله، ثم يشكل منها صوره التي يسعى بواسطتها إلى التأثير في المجتمع نفسه.

ومن الصور المستمدة من هذا المصدر، صورة الأصدقاء النفعيين الذين سرعان ما تكشفهم الأيام وصروف الزمان مهما بالغوا في التخفِّي ، وتفننوا في التمويه على من حولهم ومعهم، ليخلِّفوا –بصنيعهم ذاك– جراحاً غائرة في وجدان من وهبهم حبه ووفاءه . نقف على هذه الصورة عند الشاعر محمد عبدالقادر فقيه (١٨٨) :

ضيّعتُ عمري وأعــوامَ الشَّــبابِ سُــدًى لمعْشــرٍ وِدُّهــم بــين الــورى لُمَــعُ
الغادرينَ بعهــدِ الحُبِّ لا أســفٌ منهم عليــه ولاخــوفٌ ولاجزعُ

والتهافت علىجمع المال، وارتكاب المحظورات في سبيل ذلك، ونسيان الحقوق والواجبات المترتبة عليه، وإتباع ذلك بقطــع الأرحام، من الصور التي تزخر بها الحياة اليومية، وقد صــور الشــاعر أحمــد سالم باعطــب ذلك في قوله (١٨٩):

رأيـــتُ بـــني التُّـــرابِ عبيـــدَ مـــالٍ ولـــو جمعـــوه مـــن طُـــرقِ اخـــتلاسِ
وكـــلُّ فـــتىً لجمـــع المـــالِ يَســـعى مـــريضَ القلـــبِ مشـــدودَ الحـــواسِ
ويغمضُ عينــهُ عــن كــلِّ بِــرٍّ فــلايصلُ القــريبَ ولايــواسي

وتسلل داء الكبر إلى بعض النفوس وتغلغله فيها لأي سبب من الأسباب تظهر آثاره على من حل فيه، فيكون ذلك مبعثاً للسخرية منه، خاصةً من الناس الذين وقفوا على خفي شأنه منذ صغره، وعانقت أحداقهم ضعته وهوانه في مراحل حياته المختلفة التي قطعها وصولاً إلى المرحلة التي بدأ ينسلخ فيها عن جلده، ويتمرد على ماضيه، ويبدي تعاليه على من حوله.

يقول الشاعر حسين سرحان عن أحد المبتلين بهذا الداء (١٩٠) :

كُنْـــتَ طفـــلاً يُلـــهى بعقلِـــكَ عجـــزاً وغلامـــاً تُمـــنى بـــربحٍ خســـارا
ولكـــم عِشْـــتَ في السَّـــبيلِ اعوجاجـــاً ولكـــم نِلْـــتَ في الوصـــالِ ازورارا
ولكم كُنْــتَ هُــزأةً لأنــاسٍ كُلَّما أطلقوا عليــكَ الغُبارا

الخاتمـــة :

بعد أن وفقني الله – سبحانه وتعالى – وأعانني على إتمام هذا البحث الذي دار حول أكثر مكارم الأخلاق وروداً في الشعر السعودي في الفترة الممتدة من عام ١٣٥١هـ إلى عام ١٤٠٠هـ ، فإنني سأجمل أهم النتائج التي تمخض عنها فيما يلي :

أولاً : حرص الشعراء النابع من مواطنتهم الصادقة على سلامة مجتمعهم من الأدواء والعلل التي ستنجم عن انهيار مكارم الأخلاق فيه.

ثانياً : أنه شعر سامٍ وبنَّاء ، يسعى إلى إيجاد مجتمع خالٍ من العيوب، تسمو فيه القيم والمبادئ والمثل التي أرستها الرسالة الإسلامية الغراء وشريعتها السمحة.

ثالثاً : توافر العاطفة الصادقة وقوتها في معظم النصوص التي دارت حول مكارم الأخلاق في الشعر السعودي .

رابعاً : جودة معظم الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق وتفوقه فنياً في أسلوبه وصوره وموسيقاه.

وختاماً : فقد بذلت جهدي وطاقتي في هذا البحث المتواضع ، فإن وفقت لما هدفت إليه فبفضل الله تعالى عليَّ وحسن توفيقه،وإن كانت الأخرى فحسبي أنني لم أدَّخر جهداً ولاوقتاً في سبيل إنجازه، ولايكلف الله نفساً إلا وسعها، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الحواشي والتعليقات

(١) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، د. مقداد يالجن ، مكتبة الخانجي سنة ١٩٧٤م ، ص٤٧. نقلاً عن التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بغداد، العراق ، ط (١) ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م ، ص٤٢١ .

(٢) خلق المسلم ، محمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، ط (٨) ، ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م ، ص١٣ بتصرف .

(٣) علم الأخلاق الإسلامية، د.مقداد يالجن، دار عالم الكتب ، الرياض، ط(١) ١٤١٣هـ –١٩٩٢م ص٤٨ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت ، ط (٢) ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، المجلد (٢) ، ص٣٨١

(٥) المصدر السابق ، المجلد (٢) ص ٢٥٠ .

(٦) المصدر نفسه ، المجلد (٤) ص ١٩٣ .

(٧) الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبدالرحمن حبنكه الميداني ، دار القلم دمشق ، بيروت ، ط(١) ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م ، جـ(١) ، ص٣٠.

(٨) حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز ، رابح لطفي جمعة ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، ص٨١ .

(٩) الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبدالرحمن حبنكه الميداني ، جـ (١) ص٣٢ .

(١٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ(٤) دار أبي حيان ، ط(١) ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، ص٤٧٦.

(١١) الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي الطوائف والمرابطين ، د. منجدمصطفى بهجت، دار الرسالة ، ط(١) ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م ، ص٢١٩ "بتصرف" .

(١٢) ديوان أطياف من الماضي ، محمد عبدالقادر فقيه ، مطابع اليمامة، دار الرفاعي، الرياض، ط(٢) ١٣٩٨هـ –١٩٧٨م ، ص٦٠

(١٣) شعراء نجد المعاصرون ،عبدالله بن إدريس ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ط(١) ١٣٨٠هـ–١٩٦٠م ، ص٢٩١ / وديوان في زورقي ، عبدالله بن إدريس ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ط(١) ١٤٠٤هـ ، ص٢٣٠.

(١٤) انظر ، ديوان صدى الألحان ، جـ(٢) إبراهيم هاشم فلالي ، دار مصر للطباعة ، ١٩٥٣م، ص١٤.

(١٥) انظر، الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد حسن فقي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط دار المعارف بمصر ، المجلد (٤) ص ١٩.

(١٦) انظر، ديوان الروض الملتهب ، أحمد سالم باعطب ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط(٢) ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م ، ص٢٠٥–٢٠٦.

(١٧) ديوان الطائر الغريب ، حسين سرحان ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، مطابع الزايدي، ١٣٩٧هـ ، ص١١٠.

(١٨) الآل : السراب ، ضنَّ : بخل ، وبل : المطر الشديد

(١٩) الخَلَق: الثوب البالي ، أشوب : أخلط

(٢٠) قوارع : مصائب

(٢١) مجلة المنهل ، ذو الحجة ١٣٨٦هـ ، المجلد (٢٧) ص١٤٦٠ / وديوان تغريد، علي زين العابدين ، دار العلم للطباعة

والنشر ، جدة ، ط(١) ١٤٠٤هـــ،ص٢٠٠.

(٢٢) انظر ، المصدرين السابقين : مجلة المنهل، ص١٤٦١/ وديوان تغريد ص٢٠٥.

(٢٣) مـــجلة المنهل ، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٦٩هـــ ، المجلد (١٠)، ص٤١٢، والمجموعة الكاملة ، حسين عرب ، شركة مكة للطباعة والنشر ، ط(١) بدون تاريخ، جـــ (٢) ص١٥٣.

(٢٤) ديوان هديل، علي زين العابدين، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط(١) ١٤٠٤هـــ، ص٧٣-٧٤ .

(٢٥) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد حسن فقي ، المجلد (٣) ص١٥٩.

(٢٦) ديوان رباعايات، محمد حسن فقي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط(١)، ١٤٠٠هـــ ، ص١٥.

(٢٧) ديوان هديل ، علي زين العابدين ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، ط(١) ١٤٠٤هـــ ، ص١٦٦-١٦٧.

(٢٨) الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي ، د. منجد مصطفى بهجت ، ص٢٤١ "بتصرف"

(٢٩) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، د. مجاهد مصطفى بهجت ، ط (١) ١٤٠٢هـــ-١٩٨٢م، ص٤٣٣.

(٣٠) المجموعة الشعرية الكاملة ، محمد إبراهيم جدع، دار البلاد للطباعة والنشر، من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط(١) ١٤٠٤هـــ-١٩٨٤م ، ص٤٩٣ .

(٣١) المصدر السابق ص٦٦٩ .

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ٦٧٠.

(٣٣) نفسه ، ص٦٦٩ .

(٣٤) أحمد قنديل حياته وشعره ، فاطمة سالم عبدالجبار ، النادي الثقافي الأدبي ، جدة ، ط(١) ١٤١٩هـــ-١٩٩٨م، ص١٩٣.

(٣٥) ديوان أصداء ، أحمد قنديل ، لبنان بيروت ، ط(١) ١٣٧٠هـــ -١٩٥١م ، ص٩٦ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص١٦٧.

(٣٧) ديوان العواد ، جـــ(١) مطبعة دار العالم العربي ، القاهرة ، ط(٣) ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م ص١٧٥ .

(٣٨) ديوان المزامير ، محمود عارف ، ط(١) القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص٨٨-٨٩ .

(٣٩) كالح الوجه : عبوس الوجه ، زنيم : الزَّنيم : الدَّعي .

(٤٠) الأعمال الكاملة ، حسين عرب ، جـــ (٢) ص٦٨-٦٩.

(٤١) انظر ، ديوان الأنصاريات ، عبدالقدوس الأنصاري ، مطبعة الإنصاف ، جدة ، ط(١) ١٣٨٤هـــ ، ص٢٧.

(٤٢) انظر ، مجموعة النيل ، طاهر الزمخشري ، تهامة - جدة ، ط(١) ١٤٠٤هـــ-١٩٨٤م، ص٥٥٤ .

(٤٣) انظر ، الأعمال الكاملة ، محمد حسن فقي ، المجلد (٣) ص١٣٦.

(٤٤) انظر ، ديوان شعاع الأمل ، صالح الأحمد العثيمين ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ١٩٥٨م، ص١٢٨-١٢٩.

(٤٥) ديـــوان إنه الحب ، عثمان بن سيار، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ، ١٤٠٢هـــ-١٩٨٢م ، ص١١٧-١١٨.

(٤٦) ديوان أطياف من الماضي ، محمد عبدالقادر فقيه ، ص٩٩.

(٤٧) المصدر نفسه ، ص١٠٠ .

(٤٨) ديوان الروض الملتهب ، أحمد سالم باعطب ، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤٩) جريدة المدينة المنورة ، العدد (٢٨٥٥) في ١٣٩٣/٧/٢٢هـ ، ص٢ والأعمال الكاملة ، محمد حسن فقي ، المجلد (٣) ص٣١٧.

(٥٠) قاص وشاعر سعودي ، ولد بجدة، سنة ١٣٤٢هـ ١٩٢٤م تخرج من مدرسة الفلاح، وشغل عدة وظائف حكومية في وزارتي المالية والعمل والشئون الاجتماعية (مجلة المنهل ، شهر رجب عام ١٣٨٦هـ المجلد (٢٧) ص ٩٥٧)

(٥١) مجلة الرائد ، العدد (٥٢) في ١٣٨٠/٩/٥هـ ، ص٦ .

(٥٢) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، ص٤٤٧.

(٥٣) ديوان هديل ، ص١٠٣-١٠٤ .

(٥٤) الأعمال الكاملة ، محمد حسن فقي ، المجلد (٣) ص٣١٩.

(٥٥) ديوان أحزان قلب ، عبدالغني قستي ، مطابع دار الكشاف بيروت ، ص٢٧ .

(٥٦) بلغة : ما يتبلغ به من العيش .

(٥٧) حُلَّةٍ: الحُلَّة كل ثوب جيد جديد، وصفصف: الأرض الملساء المستوية التي لانبات فيها.

(٥٨) ديوان ألحاني ، إبراهيم هاشم فلالي ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٦٩هـ ، ص ١١٢ .

(٥٩) شهد : الشَّهْد : العسل . ويعسوب : اليعسوب ، فحل النحل وأميرها .

(٦٠) انظر، مجلة المنهل ،رجب ١٣٨٦هـ ، المجلد (٢٧)، ص٨٤٨/ وديوان صور وتجاريب، إبراهيم فودة، ط(١)١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ص١٣٥.

(٦١) انظر، مجلة المنهل ، شوال ١٣٨٣هـ ، المجلد (٢٤) ، ص٦٢٦ .

(٦٢) ديوان الروض الملتهب ط(٢) ص١٩٢ .

(٦٣) انظر، ديوان أجنحة بلا ريش، حسين سرحان ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ط(٢) ١٣٩٧هـ ص٢٠-٢٤ .

(٦٤) انظر ، شعراء نجد المعاصرون . ص١٧٣-١٧٤.

(٦٥) ديوان الروض الملتهب ، ط(٢) ص٢٠١-٢٠٢ .

(٦٦) مجموعة النيل ، ص٦٤٣ .

(٦٧) مجموعة الخضراء ، طاهر الزمخشري ، تهامة ، جدة ، ط(١) ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، ص١٠٥ .

(٦٨) الحوباء : الحوب : الوجع .

(٦٩) ديوان ألحاني ، إبراهيم فلالي ، ص١٨٩ .

(٧٠) انظر، مجلة المنهل ، ذو الحجة ١٣٨٩هـ ، المجلد (٣٠) ص١٦٣٣ .

(٧١) انظر، المجموعة الشعرية الكاملة ، محمد إبراهيم جدع ، ص٣٤٨ .

(٧٢) انظر، ديوان مطلع الفجر ، ط(١) ١٤٠٥هـ-ص١٤٩ .

(٧٣) الأعمال الكاملة ، محمد حسن فقي ، المجلد (٣) ص٤٤ .

(٧٤) وحي الصحراء ، جمعه محمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله عمر باخير ، ط(٢) ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، ص٣٩٠.

(٧٥) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٧٦٥) في ١٣٧٤/٦/١٠هـــ ، ص ٤ .

(٧٦) مربد : الرُّبْدَةُ لون بين السواد والغبرة.

(٧٧) مجموعة الخضراء ، طاهر الزمخشري ، تهامة ، جدة ، ١٤٠٢هـــ ، ص٨٨٧ .

(٧٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار أبي حيان ، ط(١) ١٤١٦هـــ - ١٩٩٦م ، جـــ(٤) ص٤٩١ .

(٧٩) ديوان أطياف من الماضي ، ص ١٠١ .

(٨٠) وحي الصحراء ، ص٣٨٩ .

(٨١) قمين : جدير .

(٨٢) ديوان الروض الملتهب ، ص٢١٠ -٢١١ .

(٨٣) شعـــراء الحجـــاز في العصر الحديث ، عبدالسلام طاهر الساسي ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، مطابع الحارثي ، ط(٢) ١٤٠٢هـــ . ص٨٧

(٨٤) انظر، مجلة المنهل ، جمادى الأولى ، ١٣٧٩هـــ ، المجلد (٢٠) ص٣١٨.

(٨٥) ديوان رباعياتي ، محمد سعيد العامودي ، ط(١) ١٤٠١هـــ-١٩٨٠م ، مطابع الروضة، ص٦٦.

(٨٦) ديوان صور وتجاريب ، إبراهيم فوده ، ص١٢٩.

(٨٧) ديوان رباعيات ، محمد حسن فقي ، ص٤١٧.

(٨٨) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص٧٦٦ .

(٨٩) ديوان وهج الشباب ، إبراهيم خليل علاف ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، ط(٢) ١٣٨٤هـــ ص٣٤ .

(٩٠) ديوان رباعيات ، محمد حسن فقي ، ص٣٦٨.

(٩١) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص٣٨١ .

(٩٢) ديوان أبراج ، أحمد قنديل ، مطابع نصار ، لبنان- بيروت، ط(١) ١٣٧٠هـــ-١٩٥١م ، ص٦٤-٦٥.

(٩٣) ديوان ألحاني ، ص٤٩ -٥٠ .

(٩٤) صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت-لبنان ، ط(٢) ١٩٧٢م ، جـــ(٤) ، ص ٢٠٠١

(٩٥) ديوان الطائر الغريب ، حسين سرحان ، ص١١١ .

(٩٦) المصدر نفسه ، ص١١١ .

(٩٧) المجموعة الكاملة، إبراهيم خليل علاف، ط(١) ١٤٠٩هـــ-١٩٨٩م، ص١٨٢.

(٩٨) جريدة المدينة المنورة، العدد (٢٨٥٥) في ١٣٩٣/٧/٢٢هـــ، ص٢/ والأعمال الكاملة محمد حسن فقي، المجلد (٣) ص٣١٨.

(٩٩) ديوان ضياء الدين رجب، دار الأصفهاني للطباعة، جدة ١٤٠٠هـــ ، ص١١٩.

(١٠٠) انظر، ديوان أجنحة بلا ريش ، ص١٦١ .

(١٠١) الأعمال الكاملة ، محمد حسن فقي ، المجلد (٣) ٢٢٠ .

(١٠٢) الحباحب : ذباب يطير بالليل ، كأنه نار ، له شعاع كالسراج.

(١٠٣) الجنادب : الجندب ضرب من الجراد .

(١٠٤) ديـوان رباعياتي،سعـد البواردي ، دار الإشعـاع، مطابـع الرياض، بدون تاريخ، ص١٣٣-١٣٤.

(١٠٥) ديوان نفحات من طيبة، علي حافظ ، مطبوعات تهامة، ط(١) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، ص٢٤٢ .

(١٠٦) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي ، مطابع الروضة ، جدة ، ط(١) ١٤٠٣هـ ،منشورات نادي جازان الأدبي ، ص٧١٥-٧١٦.

(١٠٧) الاتجـاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، دراسة تحليلية فنية ، مفرح إدريس أحمد سيد ، مطبوعات جامعة أم القرى ، ط(١) ١٤١٨هـ -١٩٩٧م ، ص٨٤ .

(١٠٨) الشعـر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى عبداللطيف السحرتي ، مطبوعات تهامة ، جدة ط (٢) ١٤٠٤-١٩٨٤م، ص١٠١.

(١٠٩) عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، ص١١ .

(١١٠) ديوان ضياء الدين رجب، ص١١٩.

(١١١) وحي الصحراء ، ص٣٩٠.

(١١٢) ديوان أجنحة بلا ريش ، ص٢١-٢٤.

(١١٣) أين: التعب والإعياء .

(١١٤) برح : البرح : الشر والعذاب الشديد .

(١١٥) ديوان أجنحة بلا ريش ، ص٢٢ .

(١١٦) المصدر نفسه ، ص٢٢ .

(١١٧) ديوان ألحاني ، ص١١٢ .

(١١٨) ديوان الروض الملتهب ، ص٢١٠.

(١١٩) المصدر نفسه ، ص ١٩٢ .

(١٢٠) ديوان رباعيات ، محمد حسن فقي ، ص٤١٧ .

(١٢١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، محمد عادل الهاشمي ، مكتبة المنار ، ط(١) ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، ص٢٤٦ .

(١٢٢) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، د.مجاهد مصطفى بهجت، ص٧٦٧ .

(١٢٣) جريدة البلاد السعودية ، العدد (١٧٦٥) في ١٣٧٤/٦/١٠هـ ، ص٤ .

(١٢٤) ديوان رباعيات ، محمد حسن فقي ، ص٤١٧ .

(١٢٥) مجلة المنهل ، ذو الحجة ١٣٨٩هـ ، المجلد (٣٠) ص١٦٣٣.

(١٢٦) في النقد الأدبي ، د.عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، ط(٢) ١٣٩١هـ – ١٩٧٢م ص١١٨ "بتصرف" .

(١٢٧) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال، مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ، ص٢٢١

(١٢٨) مجلة الرائد ، العدد (٥٢) في ١٣٨٠/٩/٥هـ ، ص٦ .

(١٢٩) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد، مكتبة الشباب ، ط١٤١٧هـــ – ١٩٩٧م ، ص٤٥ .

(١٣٠) الشعـــر العـــربي المعاصـــر (روائعه ومدخل لقراءته) د.الطاهـــر أحمد مكي، ط(٤) دار المعارف، ص٧٧.

(١٣١) قراءة الشعر، د. محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ ، ص ١٦٠.

(١٣٢) ديوان الطائر الغريب، ص١١٠.

(١٣٣) انظـــر، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، د.عبدالله الحامد، مطابع الفرزدق التجارية، من منشورات نادي المدينة المنـــورة الأدبي، ط(١) ١٤٠٨هـــ–١٩٨٨م ، ص١١٩–١٢٤/ والشعر في البلاد السعودية، أبوعبدالرحمن بن عقيـــل الظاهري ، دار الأصالة ، الرياض ١٤٠٠هـــ ، ص٣٦–٤٣.

(١٣٤) انظر،شمعة على الدرب ، د.عارف قياسه ، مطابع دار البلاد ، من مطبوعات نادي جدة الثقافي والأدبي ، ١٤٠١هـــ ، ص٢٤٥.

(١٣٥) ديوان أطياف من الماضي ، ص٩٩.

(١٣٦) الأعمال الكاملة ، محمد بن علي السنوسي ، ص٧٠٥–٧٠٦ .

(١٣٧) المجموعة الشعرية الكاملة ، محمد إبراهيم جدع ، ص٣٤٨.

(١٣٨) مجلة الرائد ، العدد (٥٢) في ٥/٩/١٣٨٠هـــ ص٦ .

(١٣٩) ديوان إنه الحب ، ص١١٧.

(١٤٠) ديوان الروض الملتهب ، ص ٢٠١ .

(١٤١) المجموعة الشعرية الكاملة ، محمد إبراهيم جدع ، ص٤٩٣.

(١٤٢) الأعمال الكاملة ، محمد بن علي السنوسي ، ص٧٠٦.

(١٤٣) الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة (٣) ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، بدون تاريخ ، ص١٠٣.

(١٤٤) انظر، ديوان في زورقي ، ص ٢٢٩–٢٣٢.

(١٤٥) انظر، ديوان أجنحة بلا ريش ، ص٢٠–٢٤ .

(١٤٦) انظر ، موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس ، ط(٥) ١٩٨١، ص٢٤٨.

(١٤٧) انظـــر، المرشد إلى فهم أشعار العرب ، د.عبدالله الطيب، مطبعة البابي الحلبي بمصـــر، ط(١) ١٣٧٤هـــ –١٩٥٥م، جـــ(١) ص ٤٤–٦٦.

(١٤٨) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، د.عبدالحميد جيدة ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦م ، ص٣٥٢.

(١٤٩) عضوية الموسيقى في النص الشعري ، د. عبدالفتاح صالح نافع، مكتبة المنار ، ط(١) ١٤٠٥هـــ–١٩٨٨م ، ص٥٥ .

(١٥٠) الأعمال الكاملة ، محمد بن حسن فقي ، المجلد (٣) ص ٣١٧.

(١٥١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي جلال، دار الرشيد للنشر ، ط ١٩٨٠م ، ص٢٧.

(١٥٢) ديوان أطياف من الماضي ، ص٦٠.

(١٥٣) ديوان صور وتجاريب ، ص١٢٩.

(١٥٤) ديوان رباعياتي ، محمد سعيد العامودي ، ص٦٦.

(١٥٥) العمدة، ابن رشيـــق القيرواني، جــ(١) ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ط (٤) دار الجيل ، بيروت ١٩٧٢م ، ص١٧٣.

(١٥٦) الشعراء وإنشاد الشعر، علي الجندي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م ، ص١٣٤ .

(١٥٧) ديوان إنه الحب ، ص١١٧.

(١٥٨) ديوان شعاع الأمل ، ص١٢٨.

(١٥٩) ديوان الطائر الغريب ، ص١١١ .

(١٦٠) شعر حسين سرحان ، دراسة نقدية ، أحمد بن عبدالله صالح المحسن،مطابع دار البلاد جدة، كتاب النادي الأدبي بجدة، ط(١) ١٤١١هـ–١٩٩١م ، ص٣٤٦.

(١٦١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص٧٣.

(١٦٢) جماليات القصيدة المعاصرة، د.طه وادي، دار المعارف بمصر، ط(٣) ١٩٩٤م ص٢١٢ .

(١٦٣) الاتجاه الوجــداني في الشعــر العــربي المعاصر، د. عبدالقادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط(٢) ١٤٠١هـ–١٩٨١م، ص٣٩١.

(١٦٤) الشعر العربي المعاصر ، د. الطاهر أحمد مكي ، ص٨٣.

(١٦٥) ديوان هديل ، ص١٦٧.

(١٦٦) ديوان الروض الملتهب ، ص٢٠١ .

(١٦٧) الأعمال الكاملة ، محمد حسن فقي ، المجلد (٣) ٣١٨.

(١٦٨) ديوان صدى الألحان ، ص١٤ .

(١٦٩) الأعمال الكاملة ، حسين عرب ، جــ(٢) ص١٥٣.

(١٧٠) شعراء نجد المعاصرون ، ص١٧٣.

(١٧١) الوامق : المحب .

(١٧٢) الآبق : الهارب.

(١٧٣) ديوان وهج الشباب ، ص٣٤.

(١٧٤) ديوان المزامير ، ص٨٨.

(١٧٥) وحي الصحراء ، ص ٣٨٩.

(١٧٦) الأعمال الكاملة ، محمد حسن فقي ، المجلد (٣) ص٣١٨ .

(١٧٧) ديوان شعاع الأمل ، ص١٢٨.

(١٧٨) ديوان هديل ، ص٧٣ .

(١٧٩) ديوان تغريد ، ٢٠٠

(١٨٠) الأعمال الكاملة محمد حسن فقي ، المجلد (٣) ص٣١٨.

(١٨١) ديوان إنه الحب ، ص١١٧.

(١٨٢) **ديوان شعاع الأمل ، ص١٢٨**

(١٨٣) **المجموعة الكاملة ، إبراهيم خليل علاف ، ص١٨٢ .**

(١٨٤) **ديوان أطياف من الماضي ، ص٦٠ .**

(١٨٥) **المصدر نفسه ، ص ٦٠ .**

(١٨٦) **ديوان نفحات من طيبة ، ص٢٤٢.**

(١٨٧) **الأعمال الكاملة ، محمد بن علي السنوسي ، ص٧٠٦.**

(١٨٨) **ديوان أطياف من الماضي ، ص٩٩.**

(١٨٩) **ديوان الروض الملتهب ، ص٢٠١-٢٠٢.**

(١٩٠) **ديوان الطائر الغريب ، ص١١١ .**

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب والدواوين

١-القرآن الكريم

٢- الأبراج ، شعر : أحمد قنديل ،مطابع نصار ، لبنان ، بيروت ، ط(١) ١٣٧٠هـ ، ١٩٥١م .

٣- الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، د. منجد مصطفى بهجت ، دار الرسالة ، ط(١) ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م .

٤- الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، مفرح إدريس أحمد سيد ، مطبوعات جامعة ام القرى ، ط(١) ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

٥- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، د. عبدالحميد جيدة ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.

٦- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبدالقادر القط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط(٢) ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٧- الأخـلاق الإسلامية وأسسها ، عبدالرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم، دمشق، بيروت، ط(١) ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

٨- أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، محمد عادل الهاشمي ، مكتبة المنار، الأردن ، الزرقاء ، ط(١) ١٤١٦هـ - ١٩٨٦م .

٩- أجنحة بلا ريش ، شعر: حسين سرحان ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ط(٢) ١٣٩٧هـ.

١٠- أحزان قلب ، شعر : عبدالغني قستي ، مطابع دار الكشاف بيروت ، ١٣٧٤هـ .

١١- أحمد قنديل حياته وشعره، فاطمة سالم عبدالجبار، النادي الثقافي الأدبي بجدة، ط(١) ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٢- أصداء، شعر: أحمد قنديل، مطابع نصار، لبنان بيروت، ط(١). ١٣٧٠هـ -١٩٥١م.

١٣- أطياف من الماضي ، شعر : محمد عبدالقادر فقيه ، مطابع اليمامة ، الرياض ، ط(٢) ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

١٤- الأعمال الكاملة، شعر:حسين عرب، شركة مكة للطباعة والنشر، ط(١) بدون تاريخ .

١٥- الأعمال الشعرية الكاملة، محمد حسن فقي، الدار السعوديـة للنشر والتوزيـع، دار المعارف، مصر،بدون تاريخ .

١٦- الأعمال الشعرية الكاملة ،محمد بن علي السنوسي ، مطابع الروضة، جدة ،منشورات نادي جازان الأدبي، ط(١) ١٤٠٣هـ .

١٧- ألحاني ، شعر: إبراهيم هاشم فلالي ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٦٩هـ .

١٨- الأنصاريات، شعر :عبدالقدوس الأنصاري، مطبعة الإنصاف بجدة، ط(١) ١٣٨٤هـ.

١٩- إنه الحب ، شعـر : عثمان بن سيـار، دار العلـوم للطباعة والنشر، الرياض ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

٢٠- تغريد، شعر:علي زين العابدين، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط(١) ١٤٠٤هـ.

٢١- التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت ، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الدينية ، العراق - بغداد ، ط(١)١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٢٢- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي جلال، دار الرشيد للنشر ، ط(١) ١٩٨٠م.

٢٣- جماليات القصيدة المعاصرة، د. طه وادي ، دار المعارف بمصر، ط(٣) ١٩٩٤م.

٢٤- حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز ، تأليف رابح لطفي جمعة، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٥- خلق المسلم، محمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، ط(٨) ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م .

٢٦- ديوان ضياء الدين رجب ، دار الأصفهاني جدة ، ط(١) ١٤٠٠هـ.

٢٧- ديوان العواد ، ج(١) مطبعة دا رالعالم العربي ، القاهرة ، ط(٣) ١٣٧٠هـ-١٩٧٩م.

٢٨ - رباعياتي ، شعر : سعد البواردي ، دار الإشعاع ، مطابع الرياض، بدون تاريخ.

٢٩- رباعيات، شعر:محمد حسن فقي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط(١) ١٤٠٠هـ.

٣٠- رباعياتي، شعر : محمد سعيد العامودي، مطابع الروضة ، ط(١) ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

٣١- الروض الملتهب، شعر: أحمد سالم باعطب، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط(٢) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣٢- شعاع الأمل، شعر : صالح الأحمد العثيمين ، دار الطباعة الحديثة ، ط (١) القاهرة ، ١٩٥٨م .

٣٣- شعراء الحجاز في العصر الحديث ، عبدالسلام طاهر الساسي ، راجعه وصححه علي حسن العبادي، مطابع الحارثي، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ط(٢) ١٤٠٢هـ .

٣٤- الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن، د.عبدالله الحامد، مطابع الفرزدق التجارية، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط(١) ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

٣٥- شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، أحمد عبدالله صالح المحسن ، مطابع دار البلاد ، جدة، كتاب النادي الأدبي بجدة ، ط(١) ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٣٦- الشعر العربي المعاصر (روائعه ومدخل لقراءته) د.الطاهر أحمد مكي، دار المعارف،ط(٤) ١٩٩٠م .

٣٧- الشعر في البلاد السعودية بين الغابر والحاضر، أبو عبدالرحمن بن عقيـــــل الظاهري، دار الأصالة ، الرياض ١٤٠٠هـ .

٣٨- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى عبداللطيف السحرتي ، مطبوعات تهامة ، ط(٢) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٣٩- الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة (٣) د. محمد مندور ، دار نهضة مصر، بدون تاريخ.

٤٠- الشعراء وإنشاد الشعر ، علي الجندي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م .

٤١- شعراء نجد المعاصرون ، دراسة ومختارات، عبدالله بن إدريس ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ط(١) ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

٤٢- شمعة على الدرب د. عارف قياسة ، مطابع دا رالبلاد، جدة ، نادي جدة الثقافي والأدبي، ١٤٠١هـ .

٤٣- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، ط(٢) ١٩٧٢م.

٤٤- صدى الألحان ، شعر : إبراهيم هاشم فلالي ، دا رمصر للطباعة ، ١٩٥٣م.

٤٥- صور وتجاريب، شعر : إبراهيم فوده ، دار الشروق ، ط(١) ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م .

٤٦- الطائر الغريب ، شعر : حسين سرحان ، مطابع الزايدي ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ١٣٩٧هـ .

٤٧- عضوية الموسيقى في النص الشعري ، د.عبدالفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، ط(١) ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٤٨- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط(٤) دار الجيل، بيروت ، ١٩٧٢م .**

٤٩- **عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د.علي عشري زايد، مكتبة الشباب، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .**

٥٠ - **عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، دار العلوم ،الرياض، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م .**

٥١- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار أبي حيان ، ط(١) ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .**

٥٢- **في زورقي ، شعر: عبدالله بن إدريس ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ط(١) ١٤٠٤هـ.**

٥٣- **في النقد الأدبي الحديث، د.عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية ، ط(٢) ١٣٩١هـ –١٩٧٢م.**

٥٤- **قراءة الشعر ، د. محمود الربيعي ، دار غريب للطباعة والنشر ، بدون تاريخ.**

٥٥- **لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، ط١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.**

٥٦- **مجموعة الخضراء ، شعر : طاهر الزمخشري ، تهامة – جدة ، ط(١) ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .**

٥٧ - **المجموعة الشعرية الكاملة ، محمد إبراهيم جدع ، دار البلاد للطباعة والنشر ، من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط(١) ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.**

٥٨- **المجموعة الكاملة : إبراهيم خليل علاف ، ط(١) ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م، ص١٨٢.**

٥٩- **مجموعة النيل، شعر ، طاهر الزمخشري ، تهامة – جدة ط(١) ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .**

٦٠- **المرشد إلى فهم أشعار العرب ، د.عبدالله الطيب ، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ط(١) ١٣٧٤هـ–١٩٥٥م .**

٦١ - **المزامير ، شعر : محمود عارف ، القاهرة ، ط(١) ١٩٥٨م.**

٦٢- **مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت، ط(٢) ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م .**

٦٣- **مطلع الفجر ، شعر : إبراهيم فودة ، دار الشروق ، ط ١٤٠٥هـ –١٩٨٤م .**

٦٤- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ، ط(٣) دا رالحديث، القاهرة ، ١٤١١هـ–١٩٩١م .**

٦٥- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، رتبه: لفيف من المستشرقين ، ونشره : أ ، ى، ونستك ، مكتبة بريل في مدينة ليدن ، ١٩٦٣م .**

٦٦- **موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، ط(٥) ١٩٨١م.**

٦٧- **نفحات من طيبة، شعر: علي حافظ، مطبوعات تهامة، ط(١) ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.**

٦٨ - **النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، مطبعة نهضة مصر ، بدون تاريخ.**

٦٩- **هديل، شعر، علي زين العابدين، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط(١) ١٤٠٤هـ .**

٧٠ - **وحي الصحراء ، جمعه محمد سعيد عبدالمقصود خوجه، وعبدالله عمر بلخير ، ط(٢) ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م .**

٧١ - **وهج الشباب ، شعر: إبراهيم خليل علاف ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، ط(٢) ١٣٨٤هـ .**

ثانياً : الصحف والمجلات

أ- الصحف :

١- البلاد السعودية ، العدد (١٧٦٥) في ١٣٧٤/٦/١٠هــ.

٢- المدينة المنورة ، العدد (٢٨٥٥) في ١٣٩٣/٧/٢٢هــ .

ب- المجلات :

١- الرائد ، العدد (٥٢) في ١٣٨٠/٩/٥هــ .

٢- مجلة المنهل : المجلدات :

(١٠) ذو العقدة وذو الحجة ، سنة ١٣٦٩ هــ .

(٢٠) جمادى الأولى سنة ١٣٧٩ هــ .

(٢٤) شوال سنة ١٣٨٣هــ .

(٢٧) رجب وذو الحجة سنة ١٣٨٦هــ .

(٣٠) ذو الحجة سنة ١٣٨٩هــ .